قصص عالمية

أبو الهول بلا سر

ترجمة

زيد الشهيد

أبو الهول بلا سر

١

الكتاب: أبو الهول بلاسر

المترجم: زيد الشهيد

جنسه: مجموعة قصصية مترجمة

الطبعة: الأولى ٢٠١٦

ردمك: 978-9933-544-42-3

الإخراج الفني: دار أمل الجديدة

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٥٦١ لعام ٢٠١٦

سورية - دمشق

جوال ٠٠٩٣٩٣٢٤٧٢٠٩٦ - ٠٩٣٩٣٢٠٠٢١٢٦-

هاتف: ٠٠٩٣١١٢٧٢٤٢٩٢

E-mail:ammarkordia@yahoo.co

قصص عالمية

أبو الهول بلا سر

ترجمة : زيد الشهيد

المحتويات

- قطعة وتر صغيرة، دي موباسان (فرنسا) . . ٧
- البيت ذو الكلب الأسود، ساتو هارو (اليابان). . ١٧
- أبو الهول بلا سر، أوسكار وايلد (اسكتلندا) . . ٢٧
- بوليسلوف، مكيم جوركي (روسيا). . . ٣٧
- الحرباء، شيخوف، (روسيا) . . . ٤٥
- الشحاذ، شيخوف (روسيا). . . ٥١
- في المقبرة، شيخوف (روسيا) . . . ٦١
- مبارزة أندلسية، إستابانيز كالديرون (اسبانيا) . . ٦٧
- زهرة الهيبسكس، مايكل انتوني (ترينيداد). . ٧٥
- شارع ساندرا، مايكل انتوني (ترينيداد) . . ٩١
- الذرة النفيسة، مايكل انتوني (ترينيداد) . . ١٠٧
- بلوندو الاسكافي، بونفتري دي بيرير (ايطاليا) . . ١١٥
- تحت برج الجوزاء، فاروق دوندي (الهند) . . ١١٩

قطعة وتر صغيرة

THE PIECE OF STRING

جي دي موباسان◆

على امتداد الطرق المحيطة بمدينة "كودرفيل" الصغيرة كان بالإمكان مشاهدة القرويين ترافقهم زوجاتهم متخذين الدرب باتجاه سوق المدينة حيث اليوم الأسبوعي المقرر للتسوق

يخطو الرجال متثاقلين، ينوءون تندفع مقدمة أجسادهم إلى أمام مع كل حركة تؤديها سيقانهم الطويلة، يبدون مشوهين بسبب الأعمال المجهدة، وجرّاء المهمات الكبيرة التي تُقض الظهر مجسدة بوضوح حياة الشغيلة الزراعية..

قد يرىَ أحدهم وهو يجرُّ بقرةً بحبلٍ بينما زوجته تحثّها علىَ

◆ جي دي موباسان (١٨٥٠ – ١٨٩٢) ينتمي إلى عائلة نورماندية نبيلة، ولد والجنون في عقله واستمر بجنونه حتىَ وفاته، اعتاد مهاجمة القرويين من أبناء جلدته بطريقة متجنية.. رصين في إبداعه ككاتب قصة، له تأثير فاعل ومؤثر في استحداثها، وقصته هذه تعتبر واحدة من قصصه الشهيرة وهي بمثابة دراسة شخصية للحياة النورماندية ، تتبطّن داخلها السخرية فتزيد من متعة القصة.

الجري ممسكة بغصن ما زالت أوراقه عالقة به.. ثمة نساء يحملن سلالاً كبيرة تظهر منها رؤوس الدجاج أو البط، يخطين بخطوات قصيرة لكن جريهن أكثر نشاطاً من الرجال، أصابعهن النحيلة تلف أرديتهن وترفعها قليلاً عن الأرض.

في ساحة "كودرفيل" ثمة ربكة جليةّ لجموع الحيوانات والناس.. الأصوات الحادة تجعل الضوضاء متواصلة، بين حين وآخر ترتفع قهقهة صاخبة منطلقة من روحٍ مرح.. رائحة الأبقار النافذة ورائحة الحليب الفاغمة تشيعان، يمكن تحسسهما عند أولئك الذي يعملون في الحقول.. وكان السيد "هاوش كورن" القادم من "برياوت" قد وصل "كوردفيل" توّاً متخذاً طريقة إلى ساحة السوق عندما لمح قطعة وتر مطاطي صغيرة على الأرض والسيد "هاوش كورن" – شأنه شأن جميع النورماندبين المثاليين يحب إذخار المال قدر ما استطاع، وله رأي يقر بأنّ أي شيء تجده و تلتقطه من الأرض قد يستفاد منه يوماً ما لهذا إنحنى ولو بصعوبة على قطعة الوتر الصغيرة رافعاً إياها من على الأرض.. وفيما هو يستعد لطويها لمح السيد "مالنداين" صانع السروج يتطلع إليه من باب محله.. كان الاثنان اختلفا مرّة علىَ أمر ولم يعودا يلتقيان أو يتحدثان، ولم يكن يجد أحدهما نفسه مستعداً لأن يتراجع ويغفر للأخير

فعلته الخاطئة.. شعر "هاوش كورن" بالخجل لهذا المشهد، لاسيما والذي أبصره يرفع قطعة وتر من أرض قذرة، هو عدو له، لهذا وبحركة خاطفة أخفىَ قطعة الوتر تحت ملابسه دسها في جيب بنطاله، ثم تحرك متظاهراً بالبحث عن شيء ضاع منه، متخذاً طريقه إلى أمام صوب ساحة السوق بانحناءةٍ - تفشي سر الروماتزم الذي يستقر في عظامه.. وسرعان ما ضاع وسط الضوضاء وحركة أناس منشغلين بفحص الأبقار يتساجلون في مسألة شرائها، مترددين خشية أن يخدعوا، غير قادرين علىَ اتخاذ قرار ناجز، يتفحصون البائع في محاولة إدراك طريقة خداعه أو اكتشاف علل الحيوانات المعروضة..

النسوة أخرجنَ الدجاج وعرضنهُ الأرض مشدودة السيقان وقد نفر الرعب من عيونها المستديرة الصغيرة فيما أصغت بعض النسوة لمزايدة بعض المتعاملين رافضات الأسعار الهابطة بوجوه صارمة وباردة، لكنها على نحو مفاجئ وبعدما يتداولنَ الأمر مع أنفسهن يقررن القبول بالأسعار المنخفضة التي عرضت عليهن، نادهات بالمشتري المتسلل بعيداً.. هيَا خذها، إن أردت.

وشيئاً فشيئا خف الزحام.. وذهب الذين تنأىَ بيوتهم عن المدينة صوب الحانات بينما تناول ارستقراطيو الأرض المحروثة وجباتهم عند السيد "جوردن" صاحب إحدىَ الحانات وتاجر الأحصنة الذي جمع ماله عن طريق الخداع والاحتيال..

قُدمت صحون الوجبات، ثم أعيدت فارغة.. تحدث الجلاس عن أعمال أدوّها، عما اشتروا وما باعوا.. دارت بعض الأسئلة حول الحصاد وتطرقوا إلى الجو الرائق للمحاصيل الخضراء والمضر برطوبته للقمح المزروع..

وعلى نحوٍ مباغت انطلقت ضربات طبل في الساحة العريضة المواجهة للحانة نهض بفعلها الجلاس باستثناء القلّة ممن يشعرون أن لا شيء يهمهم، مندفعين إلى الأبواب والشبابيك، وافواه بعضهم لما تزل ممتلئة بالطعام.

شرع منادي المدينة بعدما أوقف الضربات على الطبل يقرأ إعلاناً تتخلله توقفات بفعل الأخطاء القرائية، لذا بدا أن كلّ شيء هراء.."النداء موجه لكل ساكني كوردفيل، وإلى العامة الذين أمّوا سوق المدينة.. لقد فقدت هذا الصباح، في طريق بوزفيل بين الساعة التاسعة والعاشرة" حقيبة جلدية تحوي خمسمائة فرنك واوراق عمل فعلى من وجدها إحضارها إلى مبنى المحافظة لأنها تخص السيد "فورتين هولبرك" وهناك جائزة بعشرين فرنك ستقدم لمن وجدها أو يقدم معلومات عنها ".. بعدها تحرك المنادي، وصارت ضربات الطبل والنداء يسمعان في أماكن أخرى.

طفق الناس يتناقشون ويتحاورون عن الشيء المفقود، متساءلين في ما إذا كان السيد هولبرك يمتلك حظاً كبيراً

لتعاد إليه محفظته.

حين انتهى الجميع من تناول الغداء وانفضوا من شرب القهوة فوجئوا بعريف شرطة يدخل وينتصب عند الباب متسائلا:

- هل من بينكم هورش كورن؟

اجاب "هورش كورن" الجالس في المكان المتطرف من البار:

- نعم، أنا هنا.

تقدم إليه العريف:

- هل أنت بحالٍ يسمح لك بمصاحبتي إلى مبنى المحافظة. يود المحافظ التحدث معك.

أندهش الرجل القروي وانتابته حالة قلقٍ.. بعجالةٍ ابتلع شرابه ونهض محني الظهر.. الخطوات القليلة التي خطاها بعد استراحة سببّت له ألماً، لكنه أستمر ماشياً يتبع العريف، مردداً: أنا هنا.. أنا هنا.

كان المحافظ بانتظاره، يضمه كرسيه الوثير ذو المسندين.. لقد سبق لهذا الرجل أن كان محامياً ورجلاً مهمّاً، مولعاً بنطق اللغة المؤثرة الفاعلة، القادرة علىَ حسن التكلم.

- يا سيد هورش.. قال – لقد شوهدت هذا الصباح تلتقط محفظة السيد هولبرك الضائعة في شارع بوزفيل.

اعترت الرجل القروي دهشة وهو يتطلع إلى المحافظ، محتسباً أن اشتباهاً قد حصل، ولكن لا يعرف بالضبط كيف ولماذا حصل هذا الاشتباه..

- أنا؟!.. أنا التقطت المحفظة؟
- نعم أنت.
- بشرفي لا أعراف عنها شيئاً..
- لكنك شوهدت..
- ومن شاهدني..
- السيد مالندين: سّراج الأحصنة..

عندها تذكر الرجل العجوز وفهم.. احتقن وجهه واحمر.. وبصرخة غاضبة تساءل:

- هو شاهدني؟ هذا الشيطان؟ ما شاهده يا سيدي هذه قطعة الوتر انظر.

مدّ كفه إلى عمق جيبه مستخرجاً القطعة الصغيرة.. غير أن المحافظ هز رأسه مبدياً عدم التصديق.

- لن تستطيع إقناعي.. لا يمكن لرجل موثوق مثل "مالندين" أن يخطئ في تميز قطعة وتر من محفظة نقود.

استشاط الرجل القروي غضباً:

- لكنها حقيقة الرب.. أنها كلّ الحقيقة وليس غيرها.
- بعد التقاطك للمحفظة واصلت بحثك في الوحل لبعض

الوقت متيقناً انك ستجد نقوداً قد سقطت منها.

الغضب والخوف أخرسا الرجل العجوز للحظة ثم:

- بعض الناس لا يتوانون يتكلمون أي شيء على رجل شريف؛ وجميع ما سمعت يا سيدي كذب.

لم يصدقه المحافظ، لذا استدعىَ السيد "مالندين" ليعيد اتهامه ويشهد عليه بالعين الباصرة.. ولقد تشاتما وتلاعنا أمام المحافظ، وفتش السيد "هورش كورن" فلم يعثر على المحفظة لديه.. عندها لم يعرف المحافظ كيف يتصرف، غير أنه صرف العجوز محذراً إياه بأنه سيرفع تقريراً بالأمر إلى المراجع العليا طالباً الإجراءات.

ولقد أنتشر الخبر سريعاً؛ وحالما غادر الرجل العجوز مبنى المحافظة حتى أحيط بالناس يتساءلون ويستفسرون، وهو يقص عليهم حكاية الوتر الصغير أينَ شاهده وكيف التقطه.. غير أن لا أحد صدق قصةً كهذه؛ بل أندفع الجميع يضحكون ويتفكهون.. وصار حين يسير في الطريق يوقفونه مثلما هو يوقف الأصدقاء شارحاً قصته إثباتا للبراءة، مظهراً بطانة جيوبه للتدليل على خلوّهما بيد أنهم لا يصدقوه، قائلين: هراء!.. مخادع؟ أنت أيها الشيطان العجوز.

تغيّر طبعه وأنقلب مزاجه.. ولم يعد يعرف ما سيفعل سوى استمراره في قصِّ الحكاية.

حلّ الظلام، واقترب موعد العودة إلى البيت، توجَّه مع ثلاثةٍ من جيرانهِ إلى حيث المكان الذي رفع منه الوتر متحدثاً دون توقف طيلة الطريق يلتقيه هناك، لكن لا أحد حمل كلامه محمل الصدق.. ليلتها لم ينم.. ظلَّ متخبطاً في براثن القلق.

في اليوم التالي، وفي تمام الساعة الواحدة ظهراً جاء رجل قروي أسمه "ماريوس" وسلمَّ الحافظة بما تحتوي إلى السيد "هولبرك" معلناً أنه وجدها في الدربّ ولم يعرف عائديتها فسلمها إلى مستخدمه الذي تأخر في إعادتها.

أنتشر الخبرٌ سريعاً.. وسريعاً سمعه "هاوش كورن" فطفق يلف الدروب معيداً قصته، مضيفاً لها النهاية، معلناً ومبرهناً براءته.

- ما أزعجني ليس الشيء المفقود بل الكذب الذي قيل.. لاشيء يؤلمك بقدر ما تقع في الملامة بسبب شخص ما قال كذباً عليك.

طوال النهار ظل يتحدث عن قصته؛ يرويها لكل من قابله؛ لكل الذين جالسهم في الحانة.. لكل الذين خرجوا من الكنيسة.. استوقف حتىَ الغرباء ليحكي لهم شاعراً بارتياح.. غير أنَّ ما بدأ يؤرقه هو إحساسه بأن الناس باتوا يتسلّون بالإصغاء إليه لكنهم لا يظهرون تصديقاً، كما صار يسمع همساً يدور من وراء ظهره عن كذب ما يقول.

في الثلاثاء التالية قصد سوق "كوردفيل" لا لشيء إلاّ ليروي قصته.

رأىَ "مالندين" منتصباً عند باب دكانه وما أن مرّ من أمامه حتىَ فجر هذا ضحكة سمعها هورش كورن بكلِّ حواسه.. "لماذا يضحك هذا المتجنّي": تساءل في سرّه مندهشاً.. أوقف مزارعاً من "كريكتوت" فلم يدعه هذا يكمل قصته، صارخاً به: "هراء، أيها الشيطان العجوز، المخادع".. ذلك ما جعله يعوم في الارتباك ويتخبط في الحيرة.. يزداد قلقاً فينفجر متسائلاً لماذا يدعوه كل هؤلاء بالشيطان العجوز المخادع، وحين جلس لتناول الغداء في حانة "كورن" صرخ به صاحب الحانة، بائع الأحصنة ليوقفه عن محاولة البدء بالقص " هراء أيها الشيطان العجوز! أنا أعرف كلَّ الاعيبك الصغيرة، ومنها لعبة التقاط الوتر".

- لكنّ المحفظة عُثر عليها ".. رد هاوش كورن"

فجاءه الرد أشدّ حدة!

- اخرس!.. الرجل الذي أعاد الحافظة ليس بالضرورة هو من وجدها.

دهش الرجل العجوز.. أدركٍ أخيراً لماذا لا يزال الناس لا يصدقونه، بل مازالوا يتهمونه بأنه أقنع صديقاً ما ليأخذ المحفظة ويعيدها.. لقد عزم علىَ الاحتجاج؛ ولكن كيف يحتج والجميع غرقوا في قهقهاتهم الساخرة.. لهذا عاد إلى بيته

ساخطاً، مشحوناً بالغضب.. كان في أقصى حدود الكآبة.. تذكر أنه في الماضي كان بفضل مكره النورماندي يتمكن من إقناع الآخرين بالأشياء التي يفعلها وقد أشتهر بذلك، أما الآن فأنه يشعر بعجزه التام عن إثبات براءته وهذا الشك الظالم من قبلهم بحقهِ أحدث جرحاً غائراً في روحه..

ثم أنه راح يعيد حكايته أينما ذهب، بل ويزيد عليها فيطيلها بمعلومات جديدة ومستحدثة، ولم يقدر على أبعاد قطعة الوتر من باله، والأكثر تعقيداً هو أنّ دفاعه عن نفسه بات أكثر تعقيداً، وأقلَّ تصديقاً.. "تلك هي الطريقة المتبّعة للكذّابين" هكذا طفق الناس يتفوهون من وراء ظهره.. وهذا ما أحس به فأيقن أن محاولاته في إثبات براءته عابثة لذا بدأ أكثر ضعفاً وهزالاً.. يلتقيه الناس فيحثونه علىَ رواية القصة كنوع من النكتة، تماماً كما يُطلب من محارب قديم سردَ رواية معركة شارك فيها يوماً..

طار عقله، وساءت أحواله، وفي أواخر ديسمبر نقلوه طريحاً إلى الفراش، ثم فارقته الحياة أوائل يناير؛ لكنه في آخر حمىَ اعترته أعلن محتجاً، معلناً براءته؛ معيداً ومكرراً بصوت يعلو:

- قطعة وتر صغيرة.. ليست إلاّ قطعة وتر، يا سيدي انظر ها هي!!

البيت ذو الكلب الأسود*

*
تأليف: ساتو هارو

فجأةً..

عند مفترق الطريق توقف "فريت"؛ منتظراً اقترابي.

وفريت هو كلبي الحميم وصديقي الذي صاحبني أعواماً. ذكي ويفوق الآخرين ذكاءً حتى لو قارنته بزوجتي... اعتاد قيادتي للأماكن الهادئة؛ وأحياناً غير المتوقعة.

ولأنني الآن أخطو بلا وجهةٍ أنحو باتجاهها فقد تركت انقيادي له وأطعتُ حركته التي قادتني إلى دربٍ جانبي ضيق لم تطأه قدمي من قبل. سأتبعه في سيره وأمشي على منحدرٍ

---

* عند مراجعتي في الوكيبيديا للحصول على معلومات اوفر عن المؤلف وجدت ان القصة بعنوان (البيت ذو الكلب الاسباني) بينما ترجمت من اليابانية الى الانكليزية حيث اعتمدت الترجمة (البيت ذو الكلب الاسود).. المترجم

* ساتو هارو أحد الكتاب اليابانيين المُحدثين. ولد العام ١٨٩٢. ونشر نصّه هذا لأول مرة العام ١٩١٦. قراءة النص تنقل القارئ من موقفٍ مثير للفضول إلى موقفٍ تالٍ فيغدو من الصعب عليه إدراك الفحوى قبل الوصول إلى نهايته. أي بمعنى آخر هو النص ذو الضربة الكامنة في آخر فقرةٍ.. نص المفاجأة. "المترجم"

يتخذ انحرافات حادة بعض الأحيان.

أخطو خلفه شارداً متخلياً عن التطلّع للمناظر الماثلة حولي؛ مع أنني بين الحين والآخر أرفع بصري فأتملّى الغيوم تتناثر في السماء. ثم تباغتني زهور غريبة على جانبي الدرب بشذاها المؤثّر؛ فأمدُّ يدي وأترك أصابعي تقطفُ زهرةً أُقرّبها من أنفي لأشمَّ أريجها الساحر. أبحث في ذاكرتي عن اسمٍ لها فأخفق.

يتوقف فريت برهةٍ. يميل برأسه جانباً. يوجّه لي نظرةً كما لو أنّه يريد البوح بأمنية أن تكون هذه الزهور حلوى ليقضمها. قليلاً ويواصل الجري في منحدر الطريق؛ مبتعداً... أمشي مواصلاً سيري لساعتين تقريباً. ما نلبث أن نتسلّق مرتفعاً يصير بوسعي من خلال الوقوف عنده اغتراف منظر يبعث على الإبهار. الحقول أسفلنا تبدو فاتنة، تواصل امتدادها الغائر. ويكون بمقدوري أيضاً رؤية جزءً من مدينة غائمة بين الضباب والغيوم، آخذةً حيّزاً في المدى البعيد.

صارفاً بعض الوقت أقفُ هناك؛ محدِّقاً في غرابة المشهد. نعم! أنها مدينة. ولكن أية مدينة هذه التي لها قدرة التواجد بهذا العدد الوفير من البيوت والطرقات!

ثمّةَ شيءٌ مميز وفريد حولي يعكسه المشهد بعمومه؛ وأنا أجهل جغرافية المكان. وعلى أي حال لا يوجد ما يُدهش لرؤية مدينة غير مألوفة. أنظر إلى أسفل.. إلى الجانب من التل فأراه

ينحدر بشكل ملفتٍ نحو الأعماق. يظهر بشكل أكمات كثيفة لغابة محتشدة.الوقت يدنو من الظهيرة؛ وأشعة شمس الربيع الفخمة تبدو كالدخان؛ كالشذا ينبعث من خلل الأوراق الخضر الطرية.. تتجلى جميلة فوق هامات الاشجار، تتساوق مع الظلال وتتحاور معها.

أبغي التحرك إلى عمق تلك الغابة، فيما تبدو رغبة فريت مطابقة لرغبتي. يتحرك متقدماً بشيء من الحبور؛ وأنا أتبعه... وما أن خطونا ما يقرب من المائة ياردة حتى شرع فريت يخطو بطريقةٍ مختلفة أقرب إلى توخّي الحذر. صار يتخلّى عن خفّة خطاه، جاعلاً قائمتيه الأماميتين يطآن الدرب بطريقة متباطئة. يدفع خطمه إلى أمام؛ ما جعلني أظن أنّه اكتشف شيئاً دفعه إلى هذا الموقف المثير للاهتمام... ولدقائق معدودة غدا يتحرك جيئةً وذهاباً؛ مبدياً قلقاً وعدم ارتياح.. ثم أنّه وجد الطريق فاتخذ مساره متقدّماً وعلى عجل. تنامى فضولي لما بدر من سلوك غير اعتيادي تصرّف به الكلب فاندفعت أواصل تتبّعي له. من وقتٍ لآخر كانت تجفلنا بعض الطيور البرية بفعل طيرانها المفاجئ من بين أغصان الشجر.

على امتداد الطريق، ولزمن يقرب من النصف ساعةٍ يتوقف فريت بغتة عند مكان صرتُ من خلال وجودي فيه أسمع خرير ماء منساب، وأشاهده يهز أذنيه بانتباه مثير. يتراجع عدّة

يارادات، مقرّباً خطمه من الأرض، وشارعاً بالتشمّم. ثم يتحرك يساراً. تملؤني الدهشة وأنا أكتشف العمق الغائر للغابة التي لا تُحَد من الأشجار المتزاحمة الدكناء. والتصرف لغريب للكلب أفحمني بالفضول خصوصاً وقد وقف بعد نصف ساعة من السير يشرع بالنباح؛ وأستطيع عندها مشاهدة بيت ينتصب أمامي وسط غرابة وغموض يحيطان به ويثيران التساؤل. ما الذي حدا بأحدهم أن يبني بيتاً في هكذا مكان؟!

نظرة خاطفة إلى البيت تخبرني بعدم وجود حديقة في مقدمته. لقد شُيِّدَ هذا البيت في مكانٍ لا يُرى إلا لمن وقف أمامه مباشرةً. عندما أدنو مقترباً أبصر أنّه بيتٌ مشيَّدٌ بطريقةٍ عادية؛ لكنه في الوقت نفسه من الصعب القول أي طرازٍ من البيوت يمكن توصيفه. إذْ هو ليس ببيتٍ ريفي معتاد. نوافذه مزججّة وبطريقة غريبة. لا يوجد ثمّة مدخل إليه. لذا أفترض أنني سأواجه ساحة المدخل من الخلف أو من أحد الجوانب.

مهما حدث فإنني عازمٌ على الدخول إليه والقاء نظرةً على محتوياته، مستحضراً كلاماً يشي بفقدان الطريق الذي دفعني إلى الدخول. وبلا شك سيقدّم ساكنوه قدحاً من الشاي، وسنتناول أنا وفريت غداءً جلبناه معنا في الصندوق.

مع ما خامرني، وما تأجج داخلي أتحرك إلى مقدمة البيت وأصغي لصوت انسياب ماء عن قرب. وحين أدرك مقدمة البيت

أجده لا يختلف عن البيوت المعهودة التي أعرفها. مقدمته مصمَّمة بدرجةٍ عالية من الترف قياساً بالأجزاء الأخرى من البناء الذي رأيته في الخلف والجانب.. سلّم بدرجات أربع مبلّط بحجرٌ جميل، هو الذي يقود إلى الباب الأمامي. يبدو مظهره أقدم من بقايا أجزاء البيت.

تواجه البيت من ناحية الجنوب وتحت النافذة الأمامية تحديداً خميلة صغيرة من الورود الحمر تتسلّق الجدار وتنتشر عليه فيما ينساب جدول يعجُّ بماءٍ تبدّى مشرقاً بتأثير سقوط ضوء الشمس عليه. ومن أول نظرة يبدو الجدول وكأنّه آتٍ من داخل البيت. يندفع فريت فيروي ظمأه من مائه الذي يبدو أنّه استعذبه.

أخطو الآن باتجاه الباب، ويصير بمقدوري سماع صوت حذائي وهو يطأ الحجر ولكن لا يتسبب في كسر الهدوء الطاغي على المكان. أتساءل في سرّي إن كنت أنا في زيارة لبيتٍ ساحرٍ. أنظر حولي فألمح فريت واقفاً عند الماء دون اكتراث. لسانه الأحمر يتدلى وذيله يهتز... وبطريقة غريبة أطرق الباب الذي أخمنه ذا طراز غربي... لا يوجد ثمة رد. في تلك الحين أرفع صوتي: "هل لي بالدخول؟". لا جواب يصلني. هل أنَّ صاحبه في الخارج. أتساءل مع نفسي؛ أم أنَّ البيت غير مشغول مطلقاً!.. شعور غامض يعتريني. أذهب إلى النافذة

الأمامية، من مكان حشود الورد وتعاليه. ولسببٍ ما أمشي حذراً وبقدر ما أستطيع من الهدوء. أقف على أطراف أصابعي وأتطلع في إلى الداخل.

للنافذة ستارةٌ ثقيلة ومعتمة؛ تعلّمها خطوط زرقاء وبالإمكان احتسابها متميزةً في النوعية قياساً ببقية أشياء البيت. كانت مسحوبةً قليلاً إلى الجانب حيث بمقدوري رؤية ما في داخل الغرفة.. ولدهشتي العريضة ألمح حوضاً حجرياً بارتفاع قدمين يتوسّط الغرفة؛ ومن مركز الحوض ينبثق ماء ويتدفّق منحنياً على الجوانب. أرضيته حجرية أيضاً ورطبة نوعاً ما (وعندما أفكر بذلك في ما بعد أدرك أنَّ الماء الجاري فوق حافة الحوض هو نفس الماء الذي شاهدته يتلوى مثل أفعى بين الورود). كان لنظر الحوض تأثير ادهاشي حقّاً. وبالرغم من أنّي ومنذ البدء شعرت بأنَّ هناك شيئاً مثيراً يتعلّق بماهية هذا البيت إلا أنني لم أتوقع أبداً وجود شيء غريب داخله.. أزداد فضولاً فأبدأ مهتمّاً بفحص موجودات البيت عبر نظراتي المتلصصة من خلال النافذة. بإمكاني مشاهدة الأرضية المعمولة من البلاط الداكن الذي لا أعرف له اسماً. الأرض المبلّلة حول الحوض تبدو بلون أزرق جميل. أمّا عند الجدار البعيد من المدخل أستطيع رؤية موقداً حجرياً تنتصب على جانبيه ثلاثة رفوف تحمل عدداً وفيراً من الصحون. وبجوار

النافذة أرى منضدةً عليها.. نعم.. ماذا أرى عليها؟.. عقب سيجارة يرتفع منها خيط من الدخان. هذا يعني أنَّ أحداً لا بدَّ أن يكون هنا قبل لحظات!.

أشعل سيجارةً لنفسي وأقرر الدخول إلى البيت. فإذا كان صاحبه في الخارج وعاد فوجدني داخله سأوضّح له سبب دخولي بأسلوب مهذب.. ومرّةً أخرى أتسلّق درجات السلم المعدودة الموصلة إلى المدخل، وأهتف: "هل من أحد هناك؟".. لا جواب..

بحذرٍ وهدوء أمسك أكرة الباب وأديرها.. فأكتشف أنها غير مغلقة.. أدخل.

وحالما دخلت تراجعتُ منسحباً؛ ذلك أنني أبصرتُ كلباً أسبانيّاً بلونٍ فحمي أسود، يضطجع في الشمس، تماماً تحت النافذة. كان نائماً ومربوطاً بسلسلةٍ إلى الأرض. ببطء ينهض فتسقط عيناه عليَّ.. يهر فرويت ثم يتحرك صوب الكلب الأسود الذي يبدو عجوزاً ضخم الجثة. يهر أحدهما للآخر كما لو كانا يتحاوران. قليلاً ويروح الكلب الأسباني يهز ذيله ثم يعود لاضطجاعه بنفس المكان. يتمدد فرويت إلى جانبه فأشعر بالارتياح لذلك، وأخطو داخلاً الغرفة. أمرر يدي على رأسه رابتاً بلطف. الكلاب في الأماكن الوحيدة لا تؤذي من يكون لطيفاً معها؛ والكلب الإسباني ألمحه يلعق يدي تودداً.

ولكن مَن وأين يكون صاحب هذا البيت؟ أشعر بحرية تفحّص المكان من القمّة إلى القعر، من أعلى إلى أسفل. وأشعر أيضاً باللهفة فأقف عند الحوض. لاشكَّ أنَّ الناس الذين يقطنون هنا يستخدمون ماءه للشرب.

في الغرفة أبصر ثلاثة مقاعد. أحدها يجاور الحوض فيما الثاني عند الموقد؛ أمّا الثالث فخلف المنضدة. وهنا أرى السيجارة التي لمحتها حين كنت في الخارج وقد انتهت إلى آخرها.

توجد ثمّة صورة قديمة أعلى الساعة الجدارية التي ألاحظها تتحرك ببطء مشيرةً إلى الواحدة والربع متأخرةً عن الزمن الحقيقي بساعةٍ. أشاهد بعض الكتب باللغة الألمانية مرصوفة يعلوها الغبار، وصورةً على الجدار.

أقرر مبارحة البيت والعودة من حيث أتيت. ربّما سأعود يوماً ما. أجيء لملاقاة صاحبه الحقيقي وليس مواجهة هذا الكلب. ومع هذا ظل الفضول يحدوني للاكتشاف في هذه اللحظة التي لا أريد لها أن تهرب. أيكون من الأفضل الانتظار حتى حضور صاحب البيت؟.. أراقب الماء يتدفّق في الحوض وينساب خارجاً فأشعل سيجارةً أخرى. يبدو أنني أسمع أنغاماً لموسيقى قادمة من بعيد. أنصت مأخوذاً بالإعجاب والدهشة. هل كل هذه الموسيقى والأنغام آتية من الماء؟

أتحرك إلى الباب وأصفر إلى فريت. الكلب الإسباني الذي يظهر أنّه يتعقّب كل حركة تبدر منّي. يحدّق بي وأنا أستعد للخروج فتعتريني اختلاجة خوف؛ إذْ ربّما يتظاهر هذا الكلب باتزان ووداعة وفي لحظة استدارتي يقفز من خلفي ويعضّني.. أنتظر بنفاذ صبر حضور فريت ليتبعني ويؤمّن حمايتي.

بمراقبةٍ حذرة اندفع خارجاً، صافقاً الباب بقوّةٍ وإحكام غلق.

قبل انطلاقتنا عائدين يحدوني الفضول إلى إلقاء آخر نظرة إلى داخل البيت. أقف على أطراف أصابع قدمي وأحدّق متفرساً فأرى منبهراً، مأخوذاً الكلب الإسباني يقف على أطراف قوائمه، يخطو ببطء نحو المنضدة: "حسناً.. كانت تلك زيارة أجفلتني تماماً هذا اليوم.!".. يبدو أنّه قالها كمن يحدّث نفسه بصوتٍ بشري غير مدرك لوجودي من وراء النافذة. يتثاءب كما تفعل الكلاب عادةً. ثم فجأةً يستحيل إنساناً بمنتصف العمر؛ بنظّاراتٍ وبدلةٍ سوداء فيجلس على الكرسي خلف المنضدة بسكون؛ والسيجارة المطفأة لمّا تزل في فمه فيما يشرع بتقليب صفحات أحد تلك الكتب النائمة على المنضدة.

إنها ظهيرة ربيع دافئة.. إنني الآن أخطو في أكمّة من الأشجار الداكنة.. بين التلال الصامتة.

أبو الهول بلا سر

"THE SPHINX WITHOUT A SECRET"

أوسكار وايلد *

ظهراً كان الوقت، ومن الباحة الخارجية لمقهى "ديلا بايكس" كنتُ أتخذُ مجلساً، أتابع حركة الحياة الباريسية بأبهتها، ورثاثتها، مندهشاً بتأثير ما تناولت من شراب لرؤية المشاهد الغريبة للكبرياء، والفقر علىَ السواء يمرّان من أمامي عندما سمعت من يناديني باسمي.. استدرت! فإذا بي أشاهد السيد "ما شيسون".

لقد مرّ ما يقرب من عشر سنوات علىَ فراقنا منذ أن كنا صديقين تجمعنا الدراسة بكليةٍ واحدة في جامعة أكسفورد.. ولشدّ سروري لمشاهدته مددتُ يدي مصافحاً، مصافحاً بحرارة وود..لقد كنا متقاربين في الطول والضخامة، لكنه كان أكثر وسامة، وذا معنويات عالية، وجديراً بالاحترام..

---

* أوسكار وايلد (١٨٥٤ – ١٩٠٠) شاعر وروائي وكاتب مسرحي ايرلندي درس وتربىَ في "دبلن" واكسفورد كتب "قصص شعرية للمطالعة" التي عُدت من أفضل أعماله.

تنبأنا آنذاك بأنه سيصبح شخصية مرموقة في المستقبل إن كفّ قليلاً عن المبالغة والكذب، بيدَ أننا كنا معجبين به ومأخوذين بالصراحة الفائقة التي يتمتع بها.

في هذا اللقاء؛ وبعد هذا الزمن الطويل من الفراق ألفيته مختلفاً، إذْ بدا لي قلقاً ومرتبكاً كأن شيئاً ما يجعله مرتاباً ومتشككاً.. لم يقفز إلى ظني فعل السياسة التي ربمّا تكون أثرت به إنما خمنّت السبب إمرأة ما، لهذا سألته في ما إذا كان متزوجاً أم ما زال أعزبَ..

- لم أفهم المرأة فهماً كافياً لحد الآن.

- يا عزيزي جيرالد – أجبته – المرأة التي نعنيها هي التي تُحَبُّ لا التي تُفهَمُ.

- لا يمكن أن أحب ما لم أثق.

- أظنّ أن غموضاً ما في حياتك، يا جيرالد – قلتُ مندهشاً – أُفضي بما لديك.

- دعنا نذهب في جولةٍ فالازدحام شديد هنا – هيا..

نهضنا وخرجنا.. وسمعته يقول:

- دع تلك العربة الصفراء، لنستأجر أية عربة أخرى.. لتكن الخضراء الداكنة تلك..

بدقائق كنا نتخذ درباً باتجاه "المادلاين".

- إلى أين سنذهب؟.. سألته

- إلى أي مكان تفضّله.. إلى المطعم في "بويس" سنتعشىَ هناك وتحكي لي عن نفسك.

- أريد أن أسمع منك أولاً – قلتُ – أفصح عمّا تحتفظ به.

لحظتها أخرج حافظةً صغيرة، استلّها من جيبه، قدّمها لي.. من داخلها أظهرتُ صورةً لامرأة طويلة القوام، نحيلة، شعرها طليق وعيناها كبيرتان تضمران شيئاً ما مبهماً.

- ما رأيك بهكذا وجه؟.. سألني، ثم أكمل: "أتراه يبعث علىَ الثقة؟"

شرعتُ أتفحصه باهتمام فبدا لي كأنه وجهٌ لمخلوقٍ يخفي سرّاً كبيراً، لا أستطيع التكهّن إن كان شرّاً أم خيراً.. فالابتسامة الباهتة المتراقصة عبر الشفتين رغم رقّتها لا تشي بعذوبة حقيقية.

- حسناً! صرخ نافذ الصبر "ما رأيك؟"

- لها ابتسامة تضمر شيئاً مخيفاً.. هذا رأي فافصِح بما لديك عنها.

- ليس الآن، اترك ذلك لما بعد العشاء.

بعدما قدّم النادل القهوة وما طلبنا من سكائر توجهت لجيرالد ليتحدث عما وعدني به.. نهض؛ خطا ذارعاً الغرفة جيئة وذهابا، ثم عاد إلى كرسيه يغوص فيه ليبدأ الحكاية التالية:

في أحد المساءات، كعادتي كنت أتمشىَ راجلاً في شارع "بوند" كان الوقت يقرب من الخامسة عصراً عندما حدث اصطدام مروري لعربتين سببً توقفاً لحركة السير.. بجوار خطوط عبور المشاة ثمة عربة صفراء صغيرة تقف لا أدري لماذا استرعت انتباهي. وفيما كنت أخطو عابراً تصالبت نظراتي على الوجه الذي عرضته عليك في الصورة.. لم أتمكن من نسيانه، فقد تمرّكز في الذاكرة ورحتُ تلك الليلة أفكر فيه. استطال هذا التفكير إلى اليوم التالي، ما جعلني أتجولٌ باحثاً في الطرقات لعليّ ألمح العربة الصفراء مارقة أو متوقفة ؛ لكن الخيبة كانت نهاية مطافاتي.. فاستسلمت إلى اعتقاد أن ما رأيت لم يكن إلاّ حلماً مرّ وانقضىَ.

بعد أسبوع تلقيتٌ دعوةً من السيدة "دي لاستيل" لتناول العشاء في بيتها..! استقبلتني في الساعة الثامنة مساءً، مكثنا حتىَ الثامنة والنصف منتظرين تقديم العشاء.. أخيراً دخل علينا الخادم معلناً وصول السيدة "آلروي".

وكانت المفاجأة الصاعقة فقد دخلت علينا من كنت أبحث عنها.. وكان الحظ ضاحكاً معي إذ طُلِبَ مني مصاحبتها للعشاء، رفيقان يجلسان متقابلين...

بعد الانتهاء توجهت بكلام تملأه البراءة: اعتقد أنني شاهدتكِ في شارع "بوند" قبل أيام، يا سيدة "آلروي.."بغتة امتقع

وجهُها وشحِب.. وبصوتٍ هامس خفيض ردّت:

- لا تتكلم بصوتٍ مسموع، أرجوك، قد يسمعك الآخرون.

طوقتني التعاسة.. سريعاً نفذَت إلى داخلي.. يالها من بداية مُحبطة، ولتدارك الأمر رفعتُ صوتي محاولاً التحدُّث عن مسرحيات فرنسية إظهاراً لعمومية الكلام، كانَ حديثُها مقتضباً تُظهر خوفَ استماع الآخرين لنا.. تلك اللحظة قادني الغباء للوقوع في حبّها؛ زاد من ذلك طبيعة الغموض الذي يلف شخصيتها.. وقبل أن تبرح المكان عرضتُ عليها رغبة اللقاء ثانية، ترددّت للحظةٍ تاركةً نظراتها تتجوّل بارتياب قبل أن تقول "نعم" غداً في الخامسة إلاّ ربعاً.

آن خرجتْ اتجهتُ إلى السيدة "دي لاستيل" أسالها عمّا تعرف عن السيدة "آلروي" فأعلمتني بأنها أرملة تمتلك بيتاً جميلاً في "بارك لين".

في اليوم التالي، وفي الوقت المحدد وصلتُ فلم أجدها. قيلَ لي خرَجتْ، ذلك ما أشعرني بالأسى وأربكني.. توجهتُ إلى النادي.. وهناك كتبتُ لها رسالة أُجدد رغبتي في زيارتها، طالباً موعداً آخر، لكنّي لم أتلقَّ رداً رغم الأيام العديدة التي مرّت.. وفي يومٍ وردتني ملاحظة بأنها ستكون في البيت يوم الأحد الساعة الرابعة؛ مع فائق الشكر والتقدير خاتمة معبرة،

تقول "الرجاء لا تكتب لي علىَ محل سكني، وسوف أشرح لك عندما نلتقي."

ذلك الأحد الجميل استقبلتني.. ودودةً كانت وبجمالٍ أخّاذ.. وعندما ودّعتها خارجاً تمنّتْ أن أُعنون رسالتي القادمة إلى "السيدة فوكس"، مديرة مكتبة ويتاكرز " في "كرين ستريت "قالت ثمة أسباب تدفعني إلى عدم استلام أية رسالة في بيتي."

مرّ فصلٌ كاملٍ كانت علاقتي بها رائعة، لم أرَ منها غير المعاملة اللطيفة، بيد أنَّ جوَّ الغموض ظل ملازماً لشخصيتها ؛ وكثيراً ما راودني اعتقاد وقوعها تحت سطوةِ رجلٍ ما، غير أن هذا الاعتقاد سرعان ما كان يتبدّد، وكان صعباً عليّ الوصول إلى استنتاج قاطع بشأنها لهذا قررتٌ مفاتحتها، عارضاً طلبي في الاقتران بها، شارحاً تقهقري وتدهور صحتي من هذه العلاقة السرّية اللامنتهية، فكتبت لها رسالة أعرض رغبتي بلقائها الاثنين القادم، في الساعة السادسة.. أجابتني بالإيجاب، وقتها طرتُ إلى السماء السابعة للبهجة.. لقد أحببتها بحق؛ لكنّ الغموض هو ما كان يربكني، بل يدنيني من الجنون.. ولقد حالفني الحظ لمرةٍ.

- واكتشفت السرّ؟.. قلت مندفعاً.

- بل أخافني.. ولك أن تحكم علىَ ذلك بنفسك.

ذلك الاثنين القادم لبّيتُ دعوةً وجّهها لي عميّ لتناول الغداء

معه، وعميّ كما تعلم يسكن في "ريجنت بارك".. ولكي أختصر الطريق للوصول إلى شارع "بيكاديليّ" سلكت شوارع فرعية متواضعة الحال والسمعة.. وهناك كانت المفاجأة.. إذ لمحتْ السيدة "آلروي" تخطو مُسرعةً وقد وضعت علىَ وجهها خماراً لإخفاء ملامحها؛ حتىَ إذا وصَلَت آخر بيتٍ ارتقت درجاته المعدودات، مستخرجةً مفتاحاً ألقمته الباب ودخلتْ.

هنا يكمن السر قلت في سرّي " أسرعتُ متفحصاً البيت، كان بيتاً من تلك البيوت المؤثثة والمعدّة للتأجير المؤقت.. وعلىَ إحدى درجات السلم شاهدت منديلها الذي سقط منها.. التقطته دسسته في جيبي، ثم رحت أفكر كيف سأتصرف.. توجهتُ إلىَ النادي، وفي الساعة السادسة طلبتُ ملاقاتها.

مُضطجعة علىَ الاريكة أبصرتها، ترتدي فستاناً جميلاً يجسّد جمالها الباذخ: "مسرورةٌ جداً للقائِك"، قالت – "لم أبرح البيت طوال اليوم"

حدّقت بها مندهشاً، تلك اللحظة سحبتُ منديلها من جيبي وعرضته إزاءها.

- خذي سقطَ منك في "كومر ستريت" هذه الظهيرة، يا سيدة آلروي..خاطبتُها برباطةِ جأشٍ.

تطلّعت إليَّ مرتعبةً، ولم تمد يدها لاستلامه.

- ماذا كنتِ تفعلين هناك؟.. سألتها.

- بأيّ حقّ تسألني؟.

- بحقّ الرجل الذي أحبَّكِ.. جئتُ إلى هنا لأعرض عليك رغبتي في الأقتران بكِ.

أخفّت وجهها بكفّيها وانفجرت بالبكاء.

- يجب أن تردّي علىَ تساؤلي؟

نهضَت.. تطلعت في وجهي قبل أن تقول:

- يا سيد مارشيسون، لا شيء أخبركَ به.

- هل ذهبتِ لتلتقي شخصاً ما؟ صرختُ " ذلك هو الغموض الذي تتخفيّن وراءه؛ أليس كذلك؟

شحبَ وجهها وأصفر.

- لم أذهب لأقابل أحداً.

- "أنطقي بالحقيقة إن استطعتِ".. صرختُ بها.

- لقد قلتها.

تلك اللحظة كنت تحت سطوة الجنون، لا أعرف ما فهت به، لكني متأكد قلت عنها ولها الكثير ثم اندفعت تاركاً البيت.. في اليوم التالي بعثَت لي رسالة ورددتُ عليها بجوابٍ مغلق، سافرتُ بعدها إلى "النرويج"، وعدتٌ بعد شهر.. أول شيء قرأته في صحف باريس هو خبر موت السيدة "آلروي" بعدما أصيبت بنزلة برد أثناء حضورها حفلة الأوبرا، وماتت في غضون خمسة أيام.. أغلقتٌ كلّ شيء على نفسي ولم ألتقِ أحداً.. لقد أحببتها

بولهٍ كبير، ، بل أحببتها بجنون.. "نعم" سمعته يقول " في أحد الأيام ذهبتُ إلىَ "كومر ستريت" إلىَ ذلك البيت.. طرقتُ الباب ففتحته امرأة ذات مظهرٍ يبعث علىَ الاحترام.. أخبرتني أنَّ غرف الاستقبال مؤجرّة لامرأة "لم أرها منذ ثلاثة أشهر"

- هل هذه هي؟.. أظهرتُ الصورةَ أمامها.

- نعم، يا سيدي!.. قالت "متىَ ستعود؟ "

- لن تعود أبداً.. لقد ماتت.. هل كانت تلتقي شخصا ما عندما تجيء إلى هنا؟

طمأنتني المرأةُ قائلةً:

- كانت تأتي بكلّ بساطةٍ إلى غرفة الاستقبال تجلس تقرأ كتباً، وفي بعض الأحيان تتناول الشاي وتبرح المكان.

أعطيتها بعض النقود وخرجت..

- والآن ماذا يعني لك كلّ ذلك؟.. ألا تعتقد أن المرأة صادقة؟

- بلىَ.

- إذاً لماذا كانت السيدة "آلروي" تذهب إلى هناك؟

- عزيزي جيرالد – قلتُ – ببساطةٍ، كانت السيدة آلروي مولعة برغبة أن تبدو غامضة.. وما استئجارها الغرفة إلاّ لغرض تحقيق سعادةٍ، بذهابها إلى هناك متبرقعةً بخمارٍ ومتخيّلةً نفسها بطلةً.. لكنها في الواقع مثل "أبو الهول".. بلا سر.

بوليسلوف

مكسيم جوركي

يوما ما حدثني صديق لي قال: كنت أواصل دراستي في موسكو؛ متّخذا مسكناً صغيراً حيث كانت جارتي البولندية التي أسمها "تيريزا" فتاةً غريبةَ الأطوار. يمكنني وصفها بأنها طويلة القامة ، قوية البنية. لها بشرة داكنة، وحواجب ثخينة، وملامح فضَّة كما لو أن فأساً أحدث كل هذه الشروخ البارزة في وجهها.. عيناها غائمتان؛ وصوتُها خشنٌ وعميق؛ فيما تصرفاتُها تشبه سلوكيات رجلٍ صرفَ حياته في الشِّجارات والعِراك الدائم. كانت ثقيلة الجسد، ومظهرُها الخارجي يعرض قُبحاً مخيفاً. تسكن غرفةً تقابل غرفتي في الطابق العلوي من البناية التي نسكنها، لذلك غالباً ما ألتقيها عند السلّم أو في الفناء. ترميني بابتسامةٍ تغلّفها السخرية، وغالباً ما أبصرُها عائدةً إلى البيت بعينين حمراوين وشعرٍ يتخلّى عن انتظامه. وقد نتواجه فتروح تحدّق بي ثم تهتف: "مرحبا: أيها الطالب!".

ضحكتُها تبعثُ على الاشمئزاز، لذلك قررتُ تغيير غرفتي تجنباً لرؤيتِها.. وفعلاً حظيت بمكانٍ أشعرني بالارتياح

خصوصاً ثمَّةَ نافذةٌ أستطيعُ من خلالِها ملاحظة المدينةِ بشوارعِها المنفتحة الهادئة. وكثيراً ما جلستُ طويلاً أتشبّعُ بالمشاهدة وأنهلُ من الهدوء.

في أحدى الصباحات: وبعد أن انتهيت من ارتداءِ ملابسي وارتميتُ على السرير فُتحت الباب فجأةً فإذا بـ تيريزا " تقف عند العتبة:

- "مرحباً أيها الطالب!".. قالتها بنبرتها الخشنة المعهودة.

- "ماذا تريدين؟! ". سألتها مستغرباً.

حين أمعنتُ النظر رأيتها بوجهٍ اكتسى تعابيرَ مرتبكة وخجولة لم أبصرها فيه من قبل.

- "أيها الطالب!".. قالت وأكملت: "أريد أن أسألك معروفاً وأرجو أن لا ترفضه".

لم أقل شيئاً إنَّما هي التي استمرت: "أريدك أن تكتب لي رسالة إلى أهلي!".

"ماذا تبغي هذه الفتاة برب السماء؟!".. قلتُ مع نفسي. قفزتُ من على السرير متخذاً مجلسي عند المنضدة ساحباً ورقةً ومقرّباً قنينة الحبر.

قلتُ:

- تعالي: اجلسي وأملي عليّ ما تودّين.

دخلت جالسةً باحتراس، مُطلِقةً نظرةً حادّة باتجاه عيني.

- حسناً.. لمن أوجّه الكلام؟

- إلى "بوليسلوف كاشبوت" الذي يقطن في سوينزياني قريباً من محطة قطارات وارشو.

- وماذا تطلبين أن أكتب له؟.. هيّا! قولي.

- عزيزي بولص.. حبيب قلبي.. حبّي.. روحي. إلهي يحفظك من كلِّ مكروه... عزيزي لماذا لم تكتب لحمامتِكَ الصغيرة الوديعة منذ زمن بعيد؟. لماذا لا تكتب لتيريزا التي تشعر بحزن عميق؟!

بصعوبة بالغة تمالكتُ نفسي من الضَّحك.. " أهذه حمامة؟!.. أهذه التي طولها ستة أقدام، ذات القبضة القوية والوجه الحاد والعافية الكاملة والتي تشبه مخلوقة صرفت عمرَها تكنس سخام المواقد الشتوية يمكن اعتبارها حمامة وديعة وصغيرة؟! "..

ضبطتُ نفسي، واحتفظتُ برباطة جأشي. ورحتُ أسألها:

- من هو بوليسلوف؟

- "بولص: يا سيدي!".. رددّت الاسم بإعجابٍ كما لو كان من المستحيل نكران مَن يكون بوليسلوف هذا.

- "سأتزوج بولص".

- "تتزوّجيه؟!"

- "ولماذا أنت مندهش! أيها الطالب؟ ألا يمكن لشابة مثلي

امتلاك حبيب؟ "

شابة؟!.. أيةُ نكتة!.. ولكن ربّما.. قد يحدث ذلك. كل شيْ جائز:

- "منذ متى وأنتما مخطوبان؟".

- "منذ عشرة أعوام."

نعم.. كتبتُ الرسالة مليئة بعبارات الحب والوله واللطف كما لو كنت أتمنى أن أكون أنا بوليسلوف، ومن أية فتاة تردني هذه العبارات، إلاّ تيريزا.

- "شكراً لك من قلبي أيها الطالب."

كانت بالغة التأثر، فسألتني ردّاً للجميل:

- "هل تطلب مني خدمة أؤديها لك؟"

- "لا: شكراً."

- "أستطيع إصلاح قميصك أو أي من ملابسك أيها الطالب. ".. كان هذا ما يزعجني أحياناً. ومع ذلك شكرتها قائلاً: لا أحتاج.

في إحدى المساءات وكان قد مرّ أسبوعان على كتابة الرسالة كنتُ جالساً عند النافذة أصفّرُ وأتركُ لعيني التجوال تسليةً، مفضلاً عدم الخروج بسبب رداءة الجو عندما فُتحت الباب بغتةً.

لقد كانت تيريزا!

- "أيها الطالب. أرجو أن لا تكون منشغلاً.. حسناً :لا أرى أحداً عندك."

- "لماذا؟"

- "أريدك أن تكتب لي رسالة."

- "إلى بولص؟ "

- "كلا.. أريدك أن تكتب ردّهُ."

- "ماذا؟!".. صرختُ مندهشاً.

- "اعذرني، أيها الطالب. أنا غبية. لم أعبر عن نفسي بصورة واضحة. رسالة ليست لي بل لواحدة من صديقاتي.. فهي لا تعرف الكتابة، ولها حبيب مثلي."

أتطلعُ فيها فأحصد خجلاً يغمر وجهها، وارتعاش كفّيها يفضحان كذبة لم تُصدق.

- "اسمعي أيتها الفتاة. كل ما قلتيه عنك وعن بوليسلوف كان خيالاً مَحضاً، وأنت تكذبين. إنهُ ليس إلا عذراً للحضور إلى هنا. لا أريدك أن تلعبين مثل هذه الأفعال مرّة أخرى... أفهمت؟"

رأيتُ الخوفَ يكتسحها.. احمرَّت خجلاً. أرادت أن تقول شيئاً لكنها عجزت، حتّى أنني شعرتُ باضطهادها. لا بدّ أنّ أمراً ما دفعها لفعلِ ذلك! ولكن ما هو؟!

- "أيها الطالب.." توقفت لتقول شيئاً، لكنّها بلمحةٍ مباغتة

استدارت خارجةً من الغرفة.

مكثتُ مكاني وفي قلبي مشاعرٌ واحتدامات ضاغطة. سمعتها تغلق الباب بعنف ما أشعرني بأنها خرجت غاضبة. لذلك صممّت على دعوتها للعودة شاعراً بالأسف ومقرراً كتابة الرسالة، خطوت صوب غرفتها. لمحتها جالسة عند منضدتها وقد رمت بوجهها بين كفّيها.

- "يا فتاتي، أنتِ.."

عندما أصل إلى هذا القدرِ من القص أشعرُ دائماً بأسىً عميق.

قفزَت من مكانها؛ ومباشرةً توجَّهت إليَّ بعينين مشرقتين، واضعةً ذراعيها على كتفي. ثم شرعت تنشج باكية كما لو أنَّ قلبها يتفطَّر.

- "ما الاختلاف إن... إن كتبتَ.. أسطر.. قليلة؟ آ.. أنتَ تبدو شاباً مرغوباً فيه!.. نعم، لا يوجد ثمّة بوليسلوف... وليست هناك تيريزا! هنالك أنا فقط.. أنا وحيدة. ".

- " ماذا؟!"... هتفتُ مصعوقاً بكلماتها: "لا يوجد بولص مطلقاً؟!!! ".

- "لا.."

- "ولا تيريزا؟!."

- "لا.. أنا هي تيريزا"

تطلعتُ إليها مذهولاً "أحدنا هو المجنون"..

عادت إلى منضدتها. استخرجَت قطعة ورق: "هنا!" قالت هذا ما وردني.. هنا!.. خذ هذه الرسالة التي كتبتها لي. الناس الآخرون ذوو القلوب الرحيمة ستكتب لي بدَلك."

أمسكتُ الرسالة التي كتبتها لبوليسلوف المُتخيّل:

- "اسمعي تيريزا. لماذا كل هذا؟ لماذا تريدين الناس أن يكتبوا لكِ بينما أنتِ لم تبعثي الرسالةَ هذه؟ "

- "لَمن سأبعثها؟ "

لم أدرِ ما أقول.. كل ما فعلته هو أنّي تحركتُ خارجاً. لكنَّها انطلقت تفوه:

- " لا يوجد بوليسلوف. أنا خلقته وأردته أن يعيش. أدري أنني لست كمثل الآخرين. أعرف أنني لا أتسبب بأذى لأحد لو أنا كتبتُ إليه."

- "ماذا تقصدين بقولكِ "إليه"؟ ".

- "إلى بوليسلوف طبعاً؟"

- "لكنكِ تقولين لا يوجد شخصٌ بهذا الاسم!"

- "نعم.. وما الضرر في عدم وجوده.. أكتب إليه كأنَّه رجلٌ حقيقي. وهو أيضاً يردُّ عليَّ. أكتب له مرة أخرى، ومّرة أخرى هو يرد."

وأخيراً فهمتُ. لقد أحسستُ بالذنبِ والخجلِ وبصدمةٍ مثلَ

طعنةِ ألمٍ. آآ.. إلى جانبي تسكنُ إنسانةٌ فقيرة ليس لها ما يقابلُها من روح تبثُّه العواطفَ وتُظهِر له الخلجات.. لا أبوان لها، لا أصدقاء. لذلك اخترعت لنفسها رجلاً تبثه خلجاتها.

استمرَّت تخاطبني بأسىً عميق: "الرسالةُ هذهِ التي كتبتها لي لتصل إلى بوليسلوف طلبتُ من شخصٍ آخر يقرأها لي وبصوت عالٍ. استمعتُ وتخيلتُ أن بوليسلوف رجلٌ يحيا في هذا العالم. ثم طلبتُ إجابةً من بولص إلى حبيبته تيريزا.. إليَّ. هكذا أشعرُ أن ثمة بوليسلوف يحيا في مكان ما. لا أعرف أين. وهكذا أستطيع التواصل في الحياة فتصبح عندي أقلَّ صعوبةٍ، أقلَّ فظاعةٍ. وأقلَّ حِدّة".

منذ ذلك اليوم وأنا أكتب الرسائل. اكتبها مرتين في الأسبوع. رسائل مرسلة من تيريزا إلى بوليسلوف؛ وأخرى من بوليسلوف إلى تيريزا.

أقول كلماتي المليئة بالعاطفة؛ وبالأخص الردود، وهي تصغي إلى القراءة باكية، ضاحكة؛ ولكن سعيدة. وفي المقابل صارت تعتني بملابسي. ترتِّق قمصاني وجواربي، وتنظف حذائي، وتمسح قبعتي وتفرّشها.

بعد ثلاثة أشهر ألقي القبض عليها بشبهةٍ فأودعت السجن. ولم أرها بعد ذلك.

لا بدَّ أنها ماتت.

الحـــربـــــــاء

[THE CHAMELEON]

إنطـون جيكوف[1]

بمعطفه الجديد؛ وبشيء ما يتأبطه يلجُ العريف "أخميلوف " باحةَ السوق يتبعه شرطيٌّ ذو شعر أحمر، حاملاً ما صادراه من فاكهة.. الصمت يشيع في الأرجاء، وليست ثمّة حركة جلّية.. أبوابُ المحلات ونوافذها مواربةٌ علىَ سعتها مثل أفواه جائعة تحدّق بأسى لدنيا الله.

علىَ نحوٍ مباغت تُمزّق أستار الصمت صرخةُ: "هكذا تريد أن تعضّني أيها الكلب الملعون. هذا زمان ما عاد للكلاب حرّية عضّ الآخرين..آه !.. آه أوقفوه!.

---

(١) يقارن الكاتب الروسي جيكوف (١٨٦٠ – ١٩٠٤) بالكاتب الفرنسي دي موباسان، وكلاهما من رواد القصة القصيرة، تميزت قصص جيكوف بعرضها لبؤس الحياة الاجتماعية في روسيا.. (ولكن ما يؤخذ علىَ نصوصه أنها كانت تعرض السلبيات في المجتمع فقط ولم تصنع حلولاً افتراضية لها، وقد جسد في هذا النص القصصي لحظة مقتطعة من حياة رجل، عارضاً شخصية متقلبة كما الحرباء.)

ينـدلع نبـاحٌ متواصـل.. تتوجّـه أنظـار "أخميلـوف" ناحيـةَ الصوت.. هناك كلبٌ برجلٍ عرجاء يفرُّ هارباً من ناحية "مخزن أخشـاب بنجـوجن" ملاحَقـاً مِـن قبـل رجـلٍ ذي قمـيص أبـيض يحاول الامسـاك بـه فيتعثّـر سـاقطاً.. غير أنّـه يفلـح في القـبض عليـه مـن قائمتيـه الخلفيّـتين.. يعـوي الكلـبُ ومعـه تسـتمرُ صيحاتُ الرجل.

وجوهُ بعيونٍ ناعسةٍ تطلُّ مـن نوافـذ المحـلات؛ تُطـالع حشـداً بشرياً إلتئم سريعاً كأنّه انبثقَ من ثنايا الارض.

- "اتعتقد أنّ من الضروري توجيه اللوم والتوبيخ لتجمّعٍ غير مسموح به كهذا؟".. يحاور أخمينوف شرطيَّهُ.

يستديرُ يساراً ويخطـو باتجـاه الحشـد جـوار البـاب الـرئيس لمخزن الأخشاب، يشاهد الرجلَ ذا القميص الأبيض يرفع يداً عارضـاً علـى العيـون المُبحلِقـة إصـبعاً مُـدمّىَ فيمـا وجهـه يشـي بتعـابيرِ رجلٍ شـبه مخمـور: "إنتظـر!.. سـاجعلك تـدفع الكـثير مقابل هذا، أيها الشيطان".

وسرعان ما يتعرّف أخميلوف على الرجل: إنّه "كـريوكين"؛ مثلمـا يشـاهد الكلـب خـالقَ الجلبـةِ يرتجـفُ وسـط الحشـد وقائمتاه الاماميتان ممـدودتان..كلبٌ أبيض تُبقّـع ظهـرَه بقعـةٌ صفراء، عيناه تمتلئان بتعابير الخشية والقلق.

- "ما الخَطب؟!".. يروح أخميلوف يتساءل، صانعاً طريقـاً

له وسط الحشد ". لماذا تقف هنا؟ وما الذي جرىَ لإصبعك؟ ومن كان يصرخ؟ "

- أنا.. لم أمَسَ أحداً.. ينطقُ "كريوكين" ثم يواصل " " كنت أتجول في غابة ديمتري ديمتر يفتش، هناك عندما هاجمني هذا الكلب المتوحش وعضّ اصبعي.. ليس لديَّ ياسيدي غير هاتين اليدين أعمل بهما، وعضّةُ هذا الكلب ستوقفني عن العمل لفترةٍ لا تقل عن سبعة أيام، لهذا على صاحبه أن يدفع لي تعويضاً؛ ألا يوجد في القانون ما ينبغي تحمله من تبعات مخاطر الحيوانات، لانّه لوتُرِك لكلِّ حيوان حريةَ العضّ والفتك بالآخرين فلن يبقَ أحدٌ علىَ قيدِ الحياة في هذا العالم."

بصرامةٍ ظاهرة يرتفعُ حاجبا العريف أخميلوف ويهبطان:

- مَن هو صاحب هذا الكلب؟.. لن أسمح لمثلَ هكذا خروقات أن تحدث وتستمر. إنَّ علىَ الجميع أن لا يتركوا كلابَهم طلقيةً كما تشاء، لقد ولّىَ الزمن الذي يُترك فيه مَنْ لا يُطيع القوانين سأعاقب مالكَ هذا الكلب، وسأعُلِّمه من أنا. يستدير إلى الشرطي المرافق:

- يا يلديرين، تحرَّ عمّن يكون صاحب هذا الكلب.. هذا الكلب يجب أن يُقتل.. إفعل ذلك سريعاً، فقد يكون مسعوراً.. علىَ أي حال لمن هذا الكلب؟

- يبدو أنّه كلبٌ الجنرال ييجالوف.. ينطُقُ أحدٌ من الحشد.

- للجنرال ييجالوف؟ ها!.. يالديرين، إخلع معطفي!.. ما هذا الحر الشديد! من المحتمل أن تمطر هذا اليوم.. يوجد ثمة شيء لا أفهمه كيف عضّك هذا الكلب؟ "يتوجه العريف أخميلوف إلى "كريوكين" متساءلاً. "وكيف طال أصبعك، إنّه كلبٌ صغير بينما أنتَ رجلٌ كبير؟.. ربّما فعلت ذلك بنفسك وأدّعيت جرحك من فعل هذا الكلب المسكين سعياً للحصول علىَ مال.. أعرفكم أيها الشياطين!!

- "أطفأ السيجارة في وجه الكلب لكن الكلب ليس غبياً فعضّه، ياسيدي." يتفوه الشرطي يلديرين.

- تكَذّب!.. ما شاهد مثل هذا، ياسيدي ما شاهد مطلقاً.. ولكنْ دعْ الحاكم يقررّ، القانون يؤكد بسواسية الجميع في هذا العهد؛ ولي أخٌ يعمل في قسم الشرطة فإنْ لم..

- توقف!

- "كلاّ! هذا ليس كلب الجنرال "يقول الشرطي يلديرين مُظهراً هتماماً، "لا يملك الجنرال كلباً كهذا، هذا كلبٌ لا يمُت إلى كلابه بشيء".

- أمتأكد من ذلك؟ "يسأل العريف أخميلوف.

- نعم، كلّ التأكيد.

- وأنا متأكد أيضا.. كلابٌ الجنرال غالية الثمن، أما هذا الكلب فليس له شعر مقبول ولا شكل يُعتَد به لماذا يقتني الناس كلاباً قميئة.. لو كان في بطرسبورج أو موسكو مثل هذه الكلاب هل تخمن ما يحدث؟ لن يجهدوا أنفسهم في البحث في فقرات القانون للتخلّص منها، بل يصنعون لها نهاية سريعة.. "ياكريوكين" لا شكّ أنك تعاني من ألم الجرح لذلك سوف لا أترك الأمرَ يجري عادياً، سألقّن مالكي هذه الكلاب درساً.. ولكن يبتسم أخميلوف مفكّراً! أعتقد أنني شاهدتُ هذا الكلب في باحة الجنرال.

- "طبعاً؛ إنه كلب الجنرال" يأتي صوت من عمق الحشد.

- يالديرين؛ ساعدني.. ألبسني معطفي وخذ الكلب إلى الجنرال تأكد إن كان له أم لا. قل وجدته في الطريق فأتيت به ؛ قدم لهم رجاءً؛ إرجوهم أن لا يتركوا الكلب في الشارع، لأنه كلب ثمين وقد يرتكب أحدهم حماقة فيطفىء سيجارة في خطمه فيتسبب في إيذائه، الكلب مخلوق رقيق.. وانت أيها الغبي.. أخفضْ يدك فلا ضرورة لعرض إصبعك السخيف، إنها حماقتك.

- ها هو طباخ الجنرال، دعونا نستفهم منه.. مرحباً بروخور تعال هنا للحظة، إنظر هل هذا كلبكم؟!

- هذا!.. لم نقتن مثل هذه الكلاب في حياتنا أبداً.

- هذا كلب لا يستحق السؤال عنه.. يتمتم أخميلوف.. متشردٌ وينبغي قتله.

- كلا.. ليس لنا مطلقاً، بل هو عائد لأخ الجنرال الذي وصل إلى المدينة توّاً.سيدي لا يفضّل هذه الأنواع، إنما أخوه من يرغبها.

- هكذا إذاً أخوه فلا ديمير إيفانوفيتش وصل إلى هنا "يتساءل أخميلوف بمحّياً مُشرق وأبتسامة تغمر وجهه: "حسناً، حسناً، لم أكن أعرف ذلك. "إذاً هو في زيارة لمدينتنا!

- نعم، يا سيدي في زيارة.

- حسناً، حسناً وهذا هو كلبه، أنا مسرور جداً خذه! يالهُ من كلب صغير وبارع، سريعاً أمسك باصبع هذا الرجل ها.. ها.. ها، لماذا ترتجف أيها الكلب الصغير.. لم تفعل شيئاً يستحق الخوف؛ وهذا الرجل وغدٌ وشرير..

ينادي "بروخور" على الكلب ويذهب به بينما يوجه أخميلوف تهديداته إلى "كريوكين". يحكم شدّ معطفه علىَ جسده ثم يتخذ طريقه إلى داخل السوق يتبعه الشرطي يلدرين حاملاً الفاكهة المصادرة..

الشـــحاذ

THE BEGGAR

انطون شيكوف

- "سيدي الرحيم ، كن أكثر عطفاً للاستماع إلى رجلٍ فقيرٍ جائع. لم أذق طعاماً منذ ثلاثة أيام، وليست لديَّ خمسة كوبيكات* لأقضي ليلتي في النزل. أقسم بالله، طيلة خمسة أعوام كنت مديراً لمدرسة وخسرت وظيفتي بسبب مكيدة دبّرها لي "زمستفو". كنتُ ضحية شهادة غادرة. وها أنت تراني خارج مكاني المفترض، منذ عام."

نظر "سكفورتسوف" محامي مدينة بطرسبورغ إلى المتحدث بمعطفه الأزرق الداكن الموحل والمتهرىء، إلى عينيه المترقرقتين بتأثير خمرة عبّها، إلى البقع الحمر على وجنتيه. خامرهُ ظن أنه رأى هذا الرجل من قبل.

- "الآن عُرِضَ عليَّ عملٌ في مقاطعة كالوكا".. واصل الشحاذ حديثه " لكن ليست لديَّ الوسيلة للوصول إلى هناك.. لذا بكل تهذيب أرجو مساعدتكم.. اشعر بالخجل لمناشدتكم، لكن الظروف تجبرني على ذلك.".

طالعَ سكفورتسوف حذائي الشحاذ. كانت الفردة الأولى مسطحة تشبه حذاءً عاديّاً فيما الأخرى لها عنق يرتفع إلى وسط الساق.. وفجأة تذكّر:

- "اسمع! يوم قبل البارحة قابلتك في شارع سادوفوي. ".. قال المحامي " هناك لم تقل لي انك مدير مدرسة قروية؛ بل قلت أنك طالب فُصلتَ من الدراسة، أتتذكر ذلك؟ ".

- "ك...لا. كلا. ذلك لا يمكن أن يحصل! " راح الشحاذ يدمدم بارتباك. " أنا مدير مدرسة قروية ، وإذا رغبت أظهر لك وثائق تثبت ذلك."

- كذبك هذا يكفي! ادعيت انك طالبٌ، وأخبرتني حتى بأسباب فصلك.. أتتذكر؟"

احتدمت أعماق سكفورتسوف وبدت سيماء احتقار على وجهه تجاه الرجل الرث.

- هذه وضاعة.". صرخ غاضباً " هذا خِداع! سأسلّمُكَ إلى البوليس. اللعنة عليك!.. أنت فقير وجائع، لكن ليس لك الحق في أن تكذب بلا حياء! ".

امسك الرجل الرث قبضة الباب كما لو كان طيراً يقع في فخ وراح يطالع ما حول القصر بيأس.

_ أنا... أنا لستُ كذاباً. " دمدمَ " لدي من المستمسكات ما يثبت ذلك."

- مَن يصدقُك؟ "استمر سكفورتسوف ولما يزل ساخطاً" أنت تستغل عاطفة الناس مسيئاً لمدراء المدارس الريفية وللطلبة.... إنها وضاعة شديدة، ودناءة، وقذارة!.. استغلالك هذا مثيرٌ للاشمئزاز.

اعترى سكفورتسوف غضب عارم متوجها بالتوبيخ الخالي من الرحمة إلى الشحاذ بينما انبثقت في نفس الشحاذ غطرسة كاذبة معبرة عن مقت واشمئزاز، مُظهراً استياءً بما يحبه سكفورتسوف وما يختزنه من شفقة ومشاعر قلبيه وعاطفة تجاه شخصه غير السعيد. بكذبه الصارخ، بهجومه الغادر على الحنو الذي يمتلكه الشخص دنس الشحاذ الصدقة التي كان من المقرر أن يمنحها للمساكين دون خشية في قلبه. في بداية الأمر دافع عن نفسه واحتج، مصاحباً احتجاجه بقَسمٍ، لكنه غرق بعدها في الصمت مطأطئاً رأسه، محاولا السيطرة على خجله:

- "سيدي." واضعاً يده على قلبه " أنا حقّاً كنتُ... كاذباً! أنا لستُ طالباً ولا مديراً لمدرسة ريفية. كل ذلك مجرد اختراع منّي! لقد كنتُ سابقاً في الجوقة الروسية لكني طُردتُ بسبب إدماني على الخمر. لكن ماذا أفعل؟ صدقني والله، لا استطيع العيش بدون الكذب.. عندما أقول الحقيقة لا أحد سيساعدني. الحقيقة إن الإنسان سيموت من الجوع، وسيتجمد إن لم ينم ليله في النزل!.. ما قلته صحيح ؛ افهم ذلك، لكن... ماذا عليَّ أن أفعل؟ "

- "ماذا عليك أن تفعل؟ تسأل ماذا عليك أن تفعل؟ "صرخ سكفورتسوف، مقترباً منه " اعمل.. هذا ما عليك فعله! يجب أن تعمل! ".

- " أعمل... أعرف ذلك. لكن أين احصل على العمل؟ "

- هراء.. أنت شاب قوي ومتعافى، وبإمكانك الحصول على أي عملٍ إن أردت. لكنك تعرف في قرارة نفسك أنك متكاسل، مُدلل، سكّير! تفح الفودكا مثلما يفح "قوري" الشاي ! أصبحتَ فاسداً ويغور خطؤك حتى نخاع عظامك، لم تعُد تصلح لشيء، فقط للشحاذة والكذب!.. لو أنك سعيت بلطف للحصول على عمل لحصلتَ عليه في مكتب مثلاً، في الجوقة الروسية، أو كصانع بيليارد حيث ستحصل على مرتّب فلا جهداً كبيراً ستبذل. لكن هل ترغب أن تشتغل عاملاً يدويّاً؟ سوف أضمن لك هذا، لن تكون حمّال بيت أو عامل مصنع. أنت أنبل من أن تكون كذلك.

- "أحقّاً ما تقول؟". تكلم الشحاذ مُبدياً ابتسامة سخرية "كيف أكون عاملاً يدويّاً؟" فات الوقت الذي أكون فيه عامل في دكان. والعمل في التجارة يستدعي أن تبدأ المهنة وأنت صغير.. ولا احد سيشغلني حمّال بيت لأني لست من هذا الصنف... لم أكن قد عملت في مصنع مسبقاً أما التجارة فيجيدها شخص يعرفها.

- هُـراء! دومـاً تبحـث عـن مـبررات التهـرب. ألا ترغـب أن تكون قاطع أخشاب؟"

- " لا ارفض ذلـك، لـكـن عمّـال قطـع الأخشـاب أنفسـهم الآن عاطلون عن العمل."

- أوه، كـل العـاطلين يجـادلون بمثـل ذلـك. فحالما يُعـرض عليـك مقـترح ترفضـه.. هـل ترغـب بـأن تكـون قـاطع أخشـاب عندي؟"

- بالتأكيد أرغب.

- جيد جداً.. سوف نرى... ممتاز. سنرى " بعصـبية وامضـة وبـلا سـرور متخابـث فـرك سـكفورتسـوف كفّيـه مسـتدعياً طبّاخته من المطبخ.

- " تعالي، يا أولغا.".. قال " خذي هذا السيد إلى السقيفة ودعيه يقطع لنا بعض الأخشاب."

هـز الشحاذ كتفيه بحركة يريد منها إظهار لا مبالاته رغم ارتباكه.وبلا رغبةٍ تبع الطبّاخة. كان واضحاً من تصرفه أنه وافق أن يـذهب ويقطـع الأخشـاب لا لأنـه جـائع ويبغـي كسـبَ مالٍ بل لأنه ببساطة يبغي احترام الذات وتجنّب خزيٍ سيلحق به إن رفض عرض الرجل المحامي ؛ كذلك لأنه أعطى كلمته في الرغبـة بالعمـل. ومـن الواضـح أيضـاً أن موافقتـه جـاءت جـراء معاناة صنعها له الإدمان على شرب الفودكا ما جعله عليلاً،

يبعده الدوار عن كل مَيلٍ للعمل.

أسرع سكفورتسوف إلى غرفة الطعام. ومن النافذة المطلة على الفناء استطاع مشاهدة سقيفة الخشب وكل شيء يحدث في الفناء. منتصباً عند النافذة أبصر الطباخة والشحاذ يظهران على الطريق الخلفي في الفناء ويتجهان عبر الطريق الثلجي الموحل إلى سقيفة الخشب. فتحت أولغا الباب بطريقة عنيفة.

- "على الأغلب قطعنا على المرأة تناولها القهوة." فكّر سكفورتسوف " أي مخلوقة محرومة هذه المرأة! "

شاهد مدير المدرسة المزيف والطالب المزيف يجلس على كتلة من الخشب، محنياً خديه الأحمرين على قبضتيه، غارقاً في التفكير. رمت الطباخة فأساً عند قدميه باصقةً بغضب على الأرض. غضب تظهره تعبيرات شفتيها، منهالةً عليه بالسباب. سحب الشحاذ زند الخشب إليه بلا رغبة. ثبَّته بين قدميه، وبحياء مرَّر الفأس عبر الزند، فتداعى الزند وسقط. سحبه إليه ثمَ نفخ على كفيّه المتجمدين ؛ ومرّةً أخرى مرر الفأس عليه بحذر خشية أن يضرب حذاءه أو يقطع أصابع قدميه. سقط الزند مرةً أخرى.

تبدد غضب سكفورتسوف تلك اللحظة وهو يرمق هذا المشهد. شعر بالخجل والحسرة معتقداً أنه اجبر المدلل السكير الذي قد يكون مريضاً من الصعب عليه أداء عمل صعب

كهذا ، في يوم بارد كهذا.

- "لا تبالي. دعه يستمر في عمله....." فكّر متحركاً من غرفة الطعام إلى المكتبة "افعل ذلك لصالحه! "

بعد انقضاء ساعةٍ ظهرت أولغا مُعلنةً إكمال تقطيع الخشب.

- إذاً. أعطه نصف روبل".. قال سكفورتسوف." إذا رغب دعيه يأتي ويقطع الخشب بداية كل شهر..... سيكون ثمّة عمل دائم له. "

في بداية الشهر ظهر الشحاذ ، ومرة أخرى حصل على نصف روبل على الرغم من أنه لم يبق طويلاً. منذ ذلك الوقت ظل يواصل المجيء فيجد العمل ينتظره. بعض الأحيان كان يقوم بمهمة كنس وإزاحة الثلج من على كومة القش أو تنظيف السقيفة. وفي عملٍ آخر يقوم بضرب السجّاد والافرشة. صار دائما يستلم ثلاثين أو أربعين كوبيكا لقاء عمله، ولم يعُد يتلقى بنطلوناً قديماً في أية مناسبة.

عندما انتقل سكفورتسوف طُلِب منه المساعدة في حزم ونقل الأثاث. في المناسبة تلك كان الشحاذ وقوراً وعابساً وصامت. نادراً ما يمس الأثاث، ويمشي برأسٍ متدلٍّ خلف العربات حاملة الأثاث ولم يظهر أنه منشغل بالمهمة الموكلة إليه، يرتجف من البرد فحسب، ويسيطر على ارتباكٍ جرّاء

ضحك العمال المرافقين للعربة على كسله وخموله وسترته الرثّة التي كانت يوماً ما تعود لرجلٍ نبيل.

- "حسنا.. أرى أن كلماتي أثّرت به. " قال سكفورتسوف وهو يناوله روبلاً " هذا مقابل عملك. أرى انك غير ثمل ولا نافرٍ من العمل.. ما اسمك؟ "

- " لوشكوف."

- استطيع أن أوفر لك عملاً أفضل غير منفر، يا لوشكوف.. هل تستطيع الكتابة؟ "

- "نعم سيدي."

- "إذاً اذهب غداً بهذه التوصية إلى زميلٍ لي وسيعطيك بعض النسخ لنسخها. اعمل بجد ولا تشرب، ولا تنسى أيضاً ما قلته لك.. إلى اللقاء.".

سُرَّ سكفورتسوف لوضعه ليشكوف في الطريق المستقيم، رابتاً على كتفه بلطف ومصافحاً له عند المغادرة.

تناول ليشكوف الرسالة وغادر.. ومنذ ذلك الوقت لم يحضر إلى الفناء الخلفي لبيت سكفورتسوف أبداً.

عامان مرا على ذلك.

وفي احد الأيام؛ وفيما كان سكفورتسوف واقفاً عند مكتب بيع بطاقات الدخول إلى المسرح يهم بدفع المبلغ المستحق لشراء تذكرة أبصر إلى جانبه رجلاً ضئيل الجسم

بياقة فروها من جلد الحمل، يعتمر قبعة رثّة من جلد القطط. بجبن طلب الرجل من قاطع التذاكر تذكرةً، دافعاً بعض الكوبيكات.

_ " ألست أنت ليشكوف؟ " توجه سكفورتسوف بالسؤال إلى الرجل الضئيل مدركاً أنه قاطع الأخشاب السابق." حسنا ، ماذا تعمل الآن؟ هل تسير الأمور على ما يرام؟"

- "جيدة جداً.. أعمل الآن في مكتب كاتب العدل. واكسب خمس وثلاثين روبلاً".

- "حسنا.. شكراً لله، أنا مبتهج لأجلك. سعيد ، سعيد جداً يا ليشكوف. أتعرف أنك بطريقة ما مثل ولدي. فأنا مَن أرشدك إلى الدرب الصواب. هل تتذكّر أي توبيخ كنت أوجهه إليك؟ كنت ذلك الوقت تغوص خجلاً في الأرض.. حسناً. أشكرك يا عزيزي على تذكرك لنصائحي. ".

- "شكراً لك أيضاً "قال ليشكوف" لو لم أجيء إليك يوماً لربما بقيت لحد هذا اليوم أدعي بأني مدير مدرسة أو طالب. نعم في بيتك تمَّ إنقاذي وتسلقي خروجاً من الحفرة.

- "أنا مسرور. مسرور جداً".

- شكراً لكلماتك العطوفة ومآثرك. ما قلته ذلك اليوم رائعاً. أقرُّ بحسن صنيعك وصنيع طبّاختك. ليباركها الله. امرأة ذات قلب نبيل. ما قلته تلك الأيام كان رائعاً. أنا طبعاً

ممتنٌّ لك طالما أنا على قيد الحياة لكن أولغا طباختك هي التي أنقذتني.

- "كيف ذلك؟"

- "كيف؟.. كنتُ ما أن أجيء إليك لتقطيع الخشب حتى تبدأ هي: "آ، يا سكران ! يا تمبَّل، يا مَن لم يأخذك الموت لحد الآن!". بعدها تخطو لتقف قبالتي راثيةً، محدقة في وجهي ونائحة:" أنتَ شخص غير محظوظ! لا تملك شيئاً من السعادة التي في هذا العالم، وفي المقابل سيصلونَك في النار السعير أيها السكّير المسكين! أنت مخلوق فقير وحزين!". لقد كانت دائماً تخاطبني بهذا الأسلوب. كم كانت تُقلق نفسها َ، وكم مرة ذرفت الدموع لأجلي، لا أستطيع أن أخبرك َ. لقد أثَّرت بي كثيراً فجعلتني أتغيّر. كانت تتولى تقطيع الخشب عوضاً عني. هل تدري يا سيدي كم تغيّرتُ، وكيف تخلّيتُ عن الشرب. لا استطيع الشرح. فقط اعرف ما كانت تقوله، والسلوك النبيل الذي سلكَته في تصرفها معي فدفعني إلى التحول من أعماق روحي. لن أنسى حسن صنيعها... أنه وقت الدخول. الجرس على وشك أن يُضرب."

انحنى لوشكوف احتراماً، وتحرك صوب صالة العرض.

في المقبرة

انطون جيكوف

- شـرعت الـريح تعلـو، ايهـا الاصـدقاء؛ والـدنيا آخـذة بالعتمة.. أليسَ من الافضل التوقف عن العمل قبل ان تزداد سوءً؟

كانت الريحُ تدوم بين الاوراق الصفر لأشجار البتولا التي تنفض علينا قطرات ماء ثقيلة. انزلق واحد من مجموعتنا في تربة طينية لكنه استطاع التشبث بصليب ضخم الهيأة رمادي اللون كي يتفادى السقوط.

- "بيكور كرازنوركوف عضو مجلس محلي وفارس فخري".. شرع صاحبنا يقرأ" عرفتُ ذلك الرجل المحترم. كان مولعاً بزوجته ويلبس شريط ستانسلاف، ولا يقرأ شيئاً.. يتقن عمله جيداً.. حياته تسير بصورة متميزة؛ أليس كذلك؟.. لا أحد يظن أنَّ ثمّةَ سبباً أدى به إلى الموت؛ ولكن واحسرتاه! ترب به القدر.. سقط المسكين ضحية سلوكِهِ الفضولي. ففي احدى المناسبات وعندما كان يصيخ السمع من خلال ثقب مفتاح باب تلقى من ذلك الباب ضربةً على رأسه سببت له رجّه

في الدماغ وغياب الوعي أديّا إلى وفاته.. وهنا تحت شاهدة هذا القبر يتمدد رجل كره منذ ولادته الاشعار والحكم.. رغم ذلك؛ وكما لو أُريدَ له أن يُسخر منه زُخرِفت شاهدةُ قبره بالاشعار هناك شخص قادم! مرَّ من أمامنا رجلٌ يرتدي معطفاً رثّاً وله وجهٌ حليق قرمزي مزرَق؛ تحت ابطه قارورة نبيذ بينما تبرز من فتحةِ جيبهِ حزمةٌ من اصابع السجق.

- "أين قبر موشكين؛ الممثل؟".... سألنا بصوتٍ أجش.

أرشدناه إلى حيث ينتصب قبر موشكين، الممثل الذي توفيَ قبل عامين.

- "انتَ موظف حكومي، كما نفترض؟".. توجهنا بالسؤال اليه.

- "ممثل.. في هذه الايام يغدو من الصعب التمييز بين الممثلين والموظفين الكتّاب.. لا شك أنكم لاحظتم ذلك.. تلك حالة مثالية لكنها غير مغرية للموظف الحكومي."

إنَّ لمن الصعوبة بمكان ايجاد قبر ممثل. فهو مغمور وغارق جراء ارتفاع الاعشاب الضارة؛ فاقد لكل سيماء يُظهره قبراً.. صليب صغير رخيص بدأ يتعفن وتغطيه أشنات خضراء اسودَّت بفعل الصقيع وهواء غابة معمرة.. يبدو كأنه يتوجَّع.

- "موشكين؛ الصديق المنسي".. قرأنا

الزمن محا المستحيل، وصححَّ بُهتان الانسان.

- "ما حُفِرَ على رخامته تُظهرُه عالي الفخامة بين الممثلين والصحفيين، لكن الزملاء الاعزاء ابتلعوا المال"... تنهدَ الممثل؛ انحنى إلى الارض راكعاً، ماسّاً التربة الندية بركبتيه وقبعته.

- "ماذا تعني؛ ابتلعوه؟"

- "ببساطة! جمعوا ماله.. نشروا مقالة صغيرة عنه في الجريدة، ثم صرفوا الباقي في شرب الخمر... لا أقول ذلك لغرض صب اللوم عليهم. فقط كنتَ آمل أن يصرفوها بالطريقةِ المُثلى.. أتمنى لهم الصحة التامة والذكرى الخالدة له."

- "الشرب يعني صحة سيئة.. لا ذكرى خالدة! فقط حزن دائم.. الله يهبنا ذاكرة لبعض الوقت، لكنه يمنحنا ذكرى أبدية.. وماذا بعدُ؟"

- "أنتَ على حق في هذا الامر. كان موشكين رجلاً شهيراً هذا واضح؛ كما ترى توجد ثمّة دزينة من أكاليل الورود موضوعة على قبره؛ والآن قد نُسيَ. أولئك الذين أعزَّهم نسوه. لكن الذين سبب لهم الأذى يتذكرونه.. أنا على سبيل المثال أبداً أ أبداً لن أنساه.. أنا الذي لم أنل منه سوى الأذى. لذا تراني لا أكنُّ للفقيد حبّاً."

- أيّ أذى سببه لك؟

- " أذى عظيم!".. تنهد الممثل واستياء مر اكتست به تعابير

وجهه.. "بالنسبةِ لي كان وغداً ونذلاً.. هو الآن في مملكة السماء، تنظر اليه وتستمع له؛ فعن طريقه أصبحتُ ممثلاً. اصطادني من بيت الأهل بفنّهِ. أغراني بحماسةٍ أن اصبح ممثلاً؛ وعدني بنيل أنواع المغريات.. مغريات لم تجلب لي غير الدموع والحزن.. ما لدى الممثل من مغريات كثيرة هي في الواقع الشيء المرير والموجع.. لقد خسرتُ الشباب، والرزانة، وأي مظهر للقداسة.. لا أملك نصف بني* لأبارك به نفسي. أحذيتي من النوع الهابط حتى الكعبين. سروالي يبلى وأرقّعه. أما وجهي فيبدو كما لو نهشته الكلاب.. رأسي مليءٌ بالهُراء والافكار المشتتة. سرق منّي ايماني وعبقريي* الشرير. لو كانت لدي موهبة لغدا ذلك العبقر شيئاً ذا اهمية. ولكني كما أنا الآن شخصٌ محطَّم دون مقابل. كلُّ شيءٍ فاتر، حتى كبرياء الاصدقاء... ألا تمتلك بعضاً منه؟... يوجد ما يكفي للجميع.... برررررررر.. دعنا نشرب لإراحة روحِهِ "... بالرغم من أنني لا احبّه، وبالرغم من أنه ميت فهو الوحيد لي في هذا العالم.. وهذه هي المرة الاخيرة التي أزوره فيها لأن الاطباء

---

* عملة روسية صغيرة ليست بذات قيمة.

* عبقري الشرير: يُراد به الروح الشريرة (كان الرومان يعتقدون أن كل انسان لديه اثنان من الجن.. جن الخير وجن الشر. وصاحب الحظ السيء هو الذي يخضع لجنّيه الشرير).

أعلموني بأني سأموت قريباً بسبب الادمان على الخمر.. الواحد منّا يجب أن يغفر لأعدائه."

تركنا لمواصلة الحديث مع موشكين الميّت في الوقت الذي شرعَ المطر يهطل خفيفاً.. مطرٌ بارد ولذيذ.

في الاستدارة التي تقودنا نحو الدرب المنثور بالحصى التقيناً موكباً جنائزياً. اربعة يحملون تابوتاً بُنّي اللون ؛ يرتدونَ بدلات منقطة ويلبسون جزماً موحلة التصقت بها وريقات شجر.. كان الظلام قد حلَّ ما دفعهم إلى أن يتعجلوا في حركتهم فيتعثرون محاولين انزال التابوت من فوق كواهلهم.

- لقد صرفنا ساعتين نمشي؛ وهذا هو الميت الثالث الذي يأتون به؛ ألا نعود إلى بيوتنا ايها الاصدقاء؟

مبـارزة أندلسـية

An Andalusian Duel

إستابانيز كالديرون

في هذا النص تبدو السخرية والتهكم واضحين. فالقارئ وهو يدخل أجواء القراءة يتوقع حدوث العنف وسفك الدماء، لكنه رغم تنامي القلق ولهفة الاطلاع على ما سيحدث سيكتشف أن قطرة دم واحدة لم تُسفك

المترجم

عبر ساحة (سانت آنا) الصغيرة ؛ باتجاه الحانة المقصودة حيث بإلامكان احتساء أفضل نبيذ في اشبيلية كان ثمَّةَ رجلان يخطوان على مهلهِما.

الرجل الذي يخطو وسط الشارعِ يبدو أطولَ قامةً من الآخر بما يزيد على الإصبع؛ يعتمرُ قبعةً، وايشارب يلتمُّ طرفه تحت ذراعه الأيسر. حذاؤه الطويل العنق، ومظهره القوي المتزن، وشعره المجعَّد الداكن، وعينُه التي تشبه فحمة حمراء مُستعرة ؛ كل هذه المواصفات تشي بأنه من أولئك الرجال

الذين بإمكانهم ركوب حصانٍ وقيادته إلى حتفه، والإطاحة بثور المصارعة حتى الموت.

أما الرجل الذي يرافقه فقد ارتدى حذاءً قصيرَ العنق وعلى قميصهِ بانت الألوانُ العديدة المتنافرة. صفٌّ من الأزرار يزخرف رداءه. أمّا ايشاربه فمفتوح، وقبعته هابطة حتى الأذنين. خطواته القصيرة الرشيقة، وحركاته المتلئة حيويةً وإشراقاً؛ تخلق انطباعاً بأنه قادرٌ على إطلاق قهقهاته الساخرة في وجه أعنف ثورٍ يرغو، وأهوج وحش يتحدّى.

خطوتُ خلف الاثنين بتمهّلٍ، غيرُ قادرٍ على منعِ نفسي من فضولٍ شرع يتنامى داخلي؛ فولجتُ الحانة التي دخلاها.

في الواقع لم تكن حانةً إنّما مكاناً يجمع صفةَ مطعم يتولى تقديم الوجبات ومواصفات مكانٍ للقادمِ مقدرة احتساء المشروبات. وكما يَرى قرائي فإني أحب تسمية الأشياء بأسمائها التي تعنيها. وقد دخلتُ وجلست عند منضدةٍ بحيث لم أجعلهما يلاحظاني.

أبصرتهما ينزعان من رقبتيهما أحزمتهما الجلدية التي تحمل سلاحيهما ويجلسان كما لو كانا لوحدهما، أو كأن لا أحد في الحانة... ثم شرعا يتحدثان:

- "بوبليت".. نطق الرجل الطويل" إذاً سيواجه أحدنا الآخر. أنتَ بيدكَ سكّين.. أنتَ ستكون هنا؛ وأنا سأكون هناك...

واحد، اثنان... هنا مكانُك الدفاعي... هذا لكَ.. خذه... واطلب ما تحب.... دعنا أولاً نشرب النبيذ سويةً ؛ ثم نخرج. ".

- "بالبيجا".. أجاب بوبليت" أنا لستُ من الرجال الذين يتسبّبون بإغاظةِ أصدقائهم كما تفعل أنت. دع النبيذ يصل. نشربه أولاً؛ ثم نطلق أصواتنا بالغناء، وبعدها يبدأ عرسُ الدم والدماء.

فاها بالطلب فجاءت أقداح النبيذ، وبدأت سيمفونية اصطدامها الرنيني. نظر أحدهما بوجه الآخر، وطفقا يغنيان أغنيةً اشبيلية.

وهاتيك قارئي ما حدث:

خلعاً ايشاربيهما برشاقةٍ وخفّة، سحبا السكّينتين اللتين من المفترض الاقتتال بهما من غمديهما فبرق نصلاهما بريقاً أخّاذاً، . بدت حافّة الواحدة منهما كافية لفتح ثقب في معدة المقابل. أقتسم الاثنان استنشاق الهواء لعدة مرّات؛ ومعهما كان النصلان يبرقان. لفّا ايشاربيهما حول ذراعيهما الأيسرين. التقيا عن قربٍ ليبدءا الشروع بالمبارزة... ثم تراجعا.

هما الآن أكثر جرأةٍ للمواجهة والقفز باتجاه بعضهما. لكنَّ "بوبليت" رفع علمَ طلبِ الوقت للمناقشة.

- بالبيجا؛ يا صديقي. استميحُكَ حُسنَ صنيعٍ تؤدّيه لي، هو أنْ لا تهوي بسكّينك على وجهي لأنَّ أيَّ جُرحٍ قد يشوهُهُ،

فيتسبب في عدمِ معرفةِ أمي بي. كما أنَّي لا أتمنى أنْ أظهرَ قبيحاً؛ وحرام أن تُفسِد شكلاً صنعه الله بنفسه.

- موافق ". "أجاب بالبيجا " سأجعل تصوييي إلى أسفل.

- ما عدا.. ما عدا معدتي. لا تصوِّب على معدتي أيضاً؛ ذلك أنني ودائما أحاول أن أكونَ نظيفاً. لا أحب أن أرى نفسي متَّسخاً بفعل طعنتك التي ستمزقها وتدلق ما فيها على ملابسي.

- لا.. لا.. سأجعل ضرباتي إلى أعلى؛ ودعنا نبدأ الاقتتال.

- خذ حذرك من صدري فهو ضعيف لا يحتمل الطعنات.

- حسناً يا صديقي أخبرني أين تريد لسكيني أن تضرب؟

- يا عزيزي بالبيجا. يوجد متَّسَع من الوقت وفُسحة من الفضاء لتقطيع الإنسان قطعاً، قطعاً. لدي هنا على ذراعي اليسرى بقعةٌ سوداء يمكنك أن تجعل منها لحماً وتقطّعها كما تشتهي.

- لكَ ما تريد؛ ودعنا نبدأ.. قال بالبيجا ذلك؛ ورمى بنفسه كالسهم فتجنَّب الآخر الاندفاع المفاجئ بشاله. ثم تجنب أحدهما الآخر. ومثل لمساتِ خطّاطين بارعين يرسمان الحرف بمهارةٍ راحا يضربان في الهواء دون أن تمس حافتا سلاحيهما بشرة أحد.

لا أعرف كيف ستكون نهاية هذه التي ظهرت أمامي

كمعضلة. وللحقِّ أقول أنني ليس الرجل المناسب ليزج بنفسه حاجزاً ويوقف الاحتراب. كما أنَّ صاحب الحانة لم يُظهر اهتماما أو ارتباكاً لما يحدث. وكل ما فعله هو أن غطّى على ضوضاء أقدامهما التي تخبط الأرض وسقوط الأثاث بفعل حركتهما المثيرة للفوضى، وانطلق يعزف بقيثارةٍ، ويزيد من رفع صوت عزفه قدر ما يستطيع. أو لأقل أنّه كان هادئاً كما لو أنّه يستمتع بمشاهدة مَلاكين بدلاً من شيطانين بلحمهما وشحمهما يتقاتلان.

لا أعرف؛ أقول مجدداً نهاية هذا الاحتراب؛ لكنَّ شخصاً آخر دخل ليأخذ دورَهُ في هذه الدراما المثيرة. والذي دخل هو امرأة بعمر العشرين أو أكثر بقليل. ضئيلة الجسم لكنها مثيرةُ للانتباه بفعل ما تشي ملامِحُها من جرأةٍ ووقاحة، وما يُظهرهُ قوامُها من رشاقةٍ واتزان. ارتداؤها للملابس الجميلة واحتذاؤها الحذاء النظيف يعكس براعة مظهرٍ أنيق. مرَّت من أمام ناظريَّ وقد وضعت يديها حول خصرها وراحت تتطلّع في ما حولها، وتمسح المكان.

وأمام هذا المشهد الذي أدارته المرأةُ ببراعةٍ توقَّف صاحبُ الحانة عن العزفِ وركنَ قيثارتَه ؛ أمّا أنا فتغلبتُ على عاطفتي المستثارة كشخصٍ يفتقدُ إلى التجربة وهو بعمر ثلاثين عاماً (وأنا، بعد كل هذا من لحمٍ ودم). شاهدت المرأة تتقدَّم إلى

ساحة الاقتتال دون أن تقف وتصوّب نظرها على مَن ينتصب على الجانبين.

وحالما أبصر "بولبيتا" و"بالبيجا" السيدة "جورجا"، وسعياً لنيل جائزة الفوز بقبولها زادا من حركاتهما القتالية في محاولة إظهار براعتهما أمامها، وأكثرا من الطعنات والضربات القوسية في الهواء؛ القفزات والانحناءلت ؛ التقدم والانسحاب، ولكن دون أن تُمَس شعرةٌ من رأسيهما.

مرَّ وقتٌ ليسَ بالقصير والفتاة الفاتنة تراقب هذا المشهد التاريخي بصمتٍ وبسرور أنثوي حيث ابنة الأكابر تتمتع بمثل هذه اللحظات الحرجة. غير أنَّ غيوم الصرامة تلبّدت على وجهها الساحر شيئاً فشيئاً ؛ رفعت يدها إلى أذنها ؛ لا لتسحب وردةً مُعلقة بها أو قرطاً يتدلى، بل عُقُبَ سيجارٍ. واندفعت؛ جاعلةً من نفسها حاجزاً بين المتحاربين، ما أثار انطباعاً مؤثِّراً لديهما فتوقّفا على الفور؛ مظهرين احتراماً ومتخلّين عن الفوضى التي أثاروها، ومعيدين هندامهم الذي تبعثر ؛ مصغين لأوامرِ الجَّمال الذي بدا أمامهما بأبهى حلّة.

تطلّعت إليهما بإمعانٍ ورويّة كما لو كان مشهدُ القتال أثارها. ثم بكلِّ ثباتٍ وقناعةٍ شرعت تفوه:

- هذا شأنٌ يعود لي.
- ومن منّا الذي يهمّكِ؟.. قالاها سويةً، وبنَفَسٍ واحد.

- استمِعا؛ أيها المبجَلان.. فتاةٌ مثلي، بنتُ لاكوسا، بنتُ أخِ لامنديز، وحفيدةُ لا استروسا لا تعطي موافقتها لمن لا يستحقّونَ تقييمها. عندما يتقاتل الرجال يدعون السكاكين تأخذ دورها، ويتركون الدماء تتدفّق. وإذا كنتما تتظاهران بأنكما تتقاتلان لأجلي فهذا محض هراء. أنتما على خطأ فاضح ؛ فليس منكما الذي أحب. وحبيبي الذي أود هو منغالاريوس. أنا وهو كلانا نحتقركما... وداعاً أيها الشجعان. وإذا كنتما حقّاً شجعان فتعالى وقاتلا حبيبي الحقيقي.

قالت ذلك وتفرست بوجهيهما ثم خرجت بنفس خطواتها الواثقة السريعة التي دخلت بها.

تابع المتبجحان الفتاةَ بنظرات باهتة ؛ بعدها وبملامح خجل فاضح مررّا سلاحيهما على طرفي كمّيهما كما لو كانا يمسحان الدماء العالقة بنصليهما ويبعداهما. قليلاً وشرعا ينطقان سويةً:

- لم يُسمَع من قبل، ولم تقُل ألاغاني، ولا غنى مغنٍ شحاذ، ولا سُمِعَ في الساحة والسوق أن رجلين شجاعين قتل احدهما الآخر من أجل حبيبة رجل آخر.

- أعطني يدك، يا بولبيت.

- ويدكَ، يا بالبيجا.

قالا ذلك وراحا يتحركان خارجاً إلى الشارع كما لو كانا أعز صديقين في العالم؛ مخلِّفيني لدهشة تبدل طبيعة المزاجين وبهذه الصورة الدراماتيكية المثيرة للفكاهة.

زهرة الهيبسكس أو زهرة الخبازى

Hibiscus

ميشال أنتوني*

- هل أنتَ منفعلٌ؟ بادرتني عمّتي بالسؤال ووجهها رغمَ ابتسامته يبدو أشدَّ سمرةٍ. كان الموقف أشدُّ تأثير عليها منّي.
- نعم!.. قلتُ.
- سأُحضر لكِ كلَّ شيء. لن تحتاج لملابسَ كثيرة؛

---

* ولد ميشال انتوني في ترينيداد إحدى دول الكومنويلث القريبة من سواحل فنزويلا. رحل في بداية شبابه إلى انكلترا. مارس أعمالاً عديدة منها عامل طباعة في وكالة رويترز، وعامل في دائرة البريد العامة GPO. كما عمل في المركز الثقافي البريطاني بعد عودته إلى موطنه. استعين به في وضع المناهج التعليمية في بلاده. وقد عالج في أعماله عالم الطفولة وبيئة وعادات الهنود الحمر. قصته هذه التي نترجمها مأخوذة من مجموعته "كريكت في الطريق"

له ثلاث روايات منشورة:

١- عودة المسافات عام ١٩٦٣

٢- أيام السنة في فرناندو عام ١٩٦٥

٣- الأيام الخضراء عند النهر عام ١٩٦٧

وبحلول عيد الفصح ستكون هناك.

لذتُ بالصمت. لم أكنْ راغباً في الكلام: ولم أكن مبالياً سواء وصلت إلى هناك أم لا. بقيتُ مستلقياً ومصوباً نظري نحو السقف، أو متأملاً عمّتي أحياناً، أو متطلّعاً لِلابسات البياض وهنَّ يذرعنَ ردهات المستشفى.

- لن يبقوكَ طويلاً؛ أتعرف ذلك؟.. تكلّمت عمّتي
- كلاّ... قلت.
- ألا تريد الذهاب؟
- إذا كنتِ لا تريدينني أن.....
- كلاّ! يجب أن تذهب. قاطعتني: فالأفضل لكَ لاسيما وأشعةُ الشمس على أحسن ما تكون هناك.
- حسنا.
- تبدو اليوم أفضل من قبل.

رحتُ أُسمِعُها ما أخبروني به فيما راحت تنصت باهتمام ؛ ثم تُردد: ذلك حسن!! وتسألني سعياً لمعرفة كل ما قالوه. وما أخبرتها عنه تركَ أثراً وانطباعاً شديدين في نفسها... كان التهاب الرئة الذي لازمني قد ولّى بغضون ثلاثة أسابيع. ألقت عمّتي نظرةً على الساعة المرتكنة على الحائط. ولّما أدركت قرب انتهاء وقت الزيارة شرعت بإخراج ما جلبته من حاجيات. وضعت حقيبة يدها على فراشي، متابعةً تأثير كل حاجة

تستلها: ثمرة البناناس، حلوى، عصير البرتقال، عصير العنب. رتَّبتها على المنضدة المنتصِبة عند حافة السرير المجاور لرأسي. كنتُ قد أُطعِمتُ من الحلويات مرةً واحدة خلال إقامتي في المستشفى. أمّا ثمار البناناس فكانت تثير شهيتي بحض الأحيان. حاولت إبداء سروري لكنّي كنتُ من الضعف ما لم أستطع فعل ذلك.

- أتحب عصير العنب؟
- أجلبتِ منه شيئاً؟
- نعم؛ علبة صغيرة.

في الواقع لم أكن أحب عصير العنب.... حدّقت بي وقالت: إنّه جيد ومناسب لك.

- لا تتعبي نفسك؛ ولا تجلبي أشياءَ كثيرة بعد الآن.

استمرّت تخرج حاجيات أخرى، بسطتها بعيداً عنّي. وللحقِّ أقول أنها لم تكن تثير اهتمامي لأنّ أفكاري كانت تطوف بعيداً من هنا.

- أتيتُكَ بشيءٍ تقرأهُ.

دسَّت كفّها في جوف الحقيبة مخرجةً كتاباً صغيراً مغلّفاً بورقٍ أملس وصقيل، رُسمت على غلافه صورة زهرةٍ في زهوِ تفتّحها": "حكايات من الهنود الحمر".. رددّت عمّتي.

سرّني ذلك وأنا أهمُّ بتعديل جلستي. أمسكتُ بالكتاب

وأنا أبصر عمّتي تُبدي ابتهاجاً:

- أتصدِّق أنْ ثمّة كتباً تحكي قصص عن الهنود في هذه البلاد؟

- كلاّ.

- حسناً.. عندك الآن هذا؛ تسلّى به ولكن لا تقرأ كثيراً.

انتهت الزيارة لحظة رنَّ من بعيد جرسٌ خافت الصوت فشرع الزائرون ينسلون خارجين فيما نهضت عمّتي من على سريري، قائلةً:

- سأكتب لهم محددِّة موعد إبحارك إليهم. طبعاً ذلك يعتمد على رأي الدكتور.... توقفت قليلاً قبل أن تكمل: بأي زورقٍ تود السفر؟

- هيلدا براند.

انحنت؛ مقرِّبةً وجهها من وجهي كما لو كانت تبغي تقبيلي:

- ربّما سيكون هيلدا براند مرّةً أخرى.

ضغطت يدي قليلاً ثم غادرت:" سأراك غداً مساءً "... توقّفت عند الباب. ما لبثت أن غابت خلفه.

وكالعادة ما أن تركتني عمّتي حتى ابتدأت أفكّر بحسنِ صنيعها رغم أن ذاكرتي لم تكن تسعفني كثيراً إذْ الجو المشبّع بالعقاقير وزرق الابر المتوالي يعكّر عليَّ صفوَ تفكيري.

ومع هذا لا اقدِّر كم هي رائعة عمّتي معي، وكم كنت المفضّل لديها في البيت. أتذكّر أنها طلبت حضوري إلى جانبها حالما رحَلَت إلى انكلترا. أمّا الآن وفي حالتي المرضية هذه، ونزولاً عند نصيحة الطبيب ارتأت إرسالي إلى عائلتي مدّة شهرين بينما استمرَّت تزورني هنا يومياً حاملةً الحلوى والبناناس والبرتقال... سحبتُ الكتاب متطلِّعاً فيه. أدركتُ سرَّ الزهرة المرسومة على غلافه فابتسمت. كان العنوان مثبتاً منحوتاً بكلمات سوداء كبيرة في المساحة العليا من الكتاب "زهرة الهيبسكس" وقصص أخرى. وفي حافته السفلى كان اسم المؤلف سي.سي. ماثيوس. تمعَّنتُ بالزهرة مليّاً فعرفتُ أنها لشجرة الهيبسكس؛ الشجرة التي تنتشر على امتداد جزيرة " ترينيداد " وعرضها؛ وفي مقاطعة "مايارو" تحديداً. لم تكن تثير أحد من قبل باستثناء مؤلِف هذا الكتاب كما أظن.

في الصفحة الأولى طالعتني كلمات إهداء إلى "ماريانا"، ودونها عبارات لاتينية مقتبسة "ربّما ماريانا قد درست اللاتينية "قلت في سرّي. أناس كثيرون درسوا هذه اللغة؛ وكان كرهي لها يفوق كرهي لعصير العنب الأسود. الصفحة التي قلبتها أطلعتني على الفهرست:

١- هيبسكس ٢- طريق الشمس الساخنة ٣- شجرة البلاتا ٤- عُد إلى الجزر ٥- أسفل النجوم المدارية ٦-

طعنة حب كارب

أغلقتُ الكتاب ورحتُ أحدِّق في زهرة الغلاف مجدداً. وجدتها تأتلق رائعةً كما لو أنَّ المؤلف صرف وقتاً من قصة: أسفل النجوم المدارية: ليرسمها تحت "شجرة البلاتا" ملوِّناً أوراقها بحمرة الدم الكثيف المأخوذ من " طعنة حب كارب ".

غب مرورها على أسرِّة المرضى تباعاً اقتربت الممرِّضة من سريري ممسكةً بالمحرار كعادتها. أنحيت الكتاب جانباً وأنا أعوم في غمار دهشة أثارتها عناوين القصص في مخيلتي. يداي ترتجفان قليلاً ما جعلتا الممرضة تبتسم وهي تدنو مني، وتدفع المحرار إلى فمي في اللحظة التي ألقت بنظراتها على الكتاب.

- هل تقرأ هذا؟

- نعم. أجبتُ بإحراج لاسيما وهي الممرضة التي اعتادت استفزازي بعبارات مضحكة.

- انظروا إلى هذا الولد الصغير. قالت بسخرية، وأكملت: يقرأ قصص الحب.

- كلا!

- أنتَ قلتَ لي ذلك. نصوص تعجُّ بقصص الحب... هتفت بأسلوب مخادع.

- كلا... كلا..!

كانت عيناها سوداوين وواسعتين تطلقان نظرة حاقدة، وتبعثان وقاحة ظاهرة. سدرت تقلّب الصفحات. اندفعت في محاولة شرح الأمر لكنها لم تتح لي فرصةً لذلك واضعةً إصبعها على شفتيها طالبةً عدم فتح فمي خشية سقوط المحرار. ألقت لمحةً على ساعتها قبل أن تسحب المحرار، محاولةً معرفة ردَّ فعلي.

مالت هامسةً في أذني:

- هلاّ أعرتني إيّاه؟

دسسّتُ رأسي أسفل الوسادة وانفجرت ضاحكاً من دون أن تراني.

وحالما عمَّ الردهةَ الهدوء وتركتني الممرضة لإتمام دورتها شرعتُ أطالع الكتاب. ولشد ما غمرتني الدهشة وأنا أقرأ قصة "هيبسكس" عندما وجدتُ أحداثها ومشاهدها تدور في قرية "ماريانا"؛ قريتي أنا بالذات. القصة تحكي عن فتاة صغيرة يانعة اعتادت المجيء لملئ دلوها من عيون ماء صافية عبر أرض معشوشبة، مطلقةً صوتها الرخيم بغناءٍ عذب لصديقاتها زهيرات الهيبسكس اللاتي يبادلنها الحب وهي تصف جمالهنّ الساحر. وكان غناؤها كافياً لجعل الزهور أكثر احمراراً، أمّا بسبب خجلهنّ أو لفرط سرورهنَّ. وحالما

تقترب الطيور الطنّانة* الساعية لامتصاص الرحيق تُعلمها الزهور بما غنَّت الفتاة. عندها يطلبنَ من الطيور مقابل إهدائهنَّ الرحيق إظهار المودَّة لها، في حين تقدّم الطيور وعداً للفتاة بجعل الزهور أشد احمراراً وأكثر نصاعة بفعل هفهفة أجنحتها على أن تستمر الفتاة بأغانيها المؤثِّرة الجميلة.

تركت القصةُ بعد قراءتها أثراً عميقاً في نفسي. عادت بي الذكرى للأرض الخضراء والطريق الممتد عبر أشجار الهيبسكس، المنحدر صوب ينابيع المياه الصافية. إنَّ الطريق الذي كتب عنه المؤلف ماثيوس جعلني أقرَّ أنّه لا بدَّ وأن يكون قد عاش في قرية "مايارو"، وأنّه يعرف تفاصيل المكان عن كثب. جهدتُ في محاولة تذكُّر شخصاً بهذا الاسم أو فتاة تدعى "ماريانا". لا بدَّ وأن تكون هناك فتاة قد مرّت مراراً من أمام بيتنا، حاملةً دلوها الصغير نازلةً باتجاه الينابيع. حاولت استذكار ولو واحدة من أغانيها ففشلت. لم أكن قادراً على تذكّر أية أغنية. ينبغي مقابلة ماثيوس والتحدث معه حول أزهار الهيبسكس الحمراء؛ وأظنها ستزداد احمراراً

---

* الطيور الطنّانة طيور تصدر أجنحتها المهفهفة صوتاً كالطنين. وهب إذ تأتي لامتصاص رحيق الأزهار بمناقيرها الطويلة المستدقة فإنها بهفهفة أجنحتها تزيل الغبار العالق بالوريقات فتجعل الزهور أكثر رونقاً وأبهى.

لسماع حديثنا.

قرأتُ القصة أكثر من مرّة، وبشعور سعيد وغامر واصلتُ مطالعة بقية القصص فأعجبتٌ باسلوبها الجميل ولغتها المثيرة رغم الغرابة التي تغلفها. فقصة "أسفل النجوم المدارية" تعكس شعوراً غير مألوف للأنوار المتلألئة في حلكة السماء وارتفاع أشجار النخيل المنشغلة أوراقه بالحفيف الهامس على امتداد الشاطئ المزبد. وحين قرأتُ "عُد إلى الجزر" بدت لي كما لو أن جميع هذه الأشياء تدعوني للعودة! "سأعود لا محال! لم أعد قادراً على الامتناع عن العودة. وما أن تحضر عمّتي حتى أبوح لها برغبتي في الزيارة. "لكن بعد قراءة قصة" طعنة حب كارب " اعترتني حالة ارتباك وخجل. اكتشفتٌ أنّي أقرأ عن الحب فعلاً ولم تكن المرضة كاذبة.

مررتُ عبر قصص المجموعة بيد أن "هيبسكس" ظلّت عالقة في مخيلتي، وجعلتني أعود لقراءتها كلّما انتهيت منها، وباتت "ماريانا" وسي. سي ماثيوس يحتلان حيّزاً كبيراً في رأسي حتى غدوت سعيداً لعودتي إلى الوطن عبر البحر مرّةً أخرى. تساءلتُ: هل عبرت ماريانا البحر مرّةً؟ ".. ربّما. وربّما هو الذي دفع ماثيوس لكتابة " عُد إلى الجزر ". شعَّ ضوءٌ مباغت في رأسي. غدوتُ متلهفاً لحضور عمّتي. لا بدَّ ستتذكّر شخصاً في قرية "مايارو" بإسم ماثيوس أو فتاة باسم ماريانا. غير أنَّ

خيبة الأمل أصابتني عندما أخبرتني عمّتي أنها غير متأكدة من معرفة رجل يحمل اسم ماثيوس ؛ أمّا ماريانا فربما تكون موجودة حقّاً. إنَّ أربعة أعوام بعيدةً عن القرية كافية لأن تُنسِيها الكثير من الأسماء. انشغلت بإعلامي أن أهلي متشوقون لعودتي، وقد وعدوا بأن لا يجبروني على البقاء عندهم بل سيتركونني أعود إلى انكلترا. كانت عمّتي واثقة بهم إذ أبرزت أمام وجهي تذكرة العودة مثلما أخبرتني بتفاهمها مع الدكتور لإجراء ترتيبات خروجي من المستشفى.

بشعور مفعم بالقوَّة أدركتُ أنني مقبل على رحلة بحرية طويلة. كل أفكاري تطلعت للوصول إلى قريتي؛ هناك! سأسير على طول الطريق المحفوف بأشجار الهيبسكس. لم يأخذ منّي التفكير بأبي وأمي الكثير؛ ولم أكن أحس بالحنين والوحشة لبعدهم عنّي أبداً لأنَّ عمّتي عوضّتني حنانهم وعنايتهم وزادت. لم يكن للشمس المشرقة تأثير على رغبتي بالعودة إلا عندما قرأت قصة "عد إلى الجزر"، فهي كافية لتذكيري بالدفء وملامسة الأشعة لبشرتي واسترجاع نسيم الجزيرة المنعش الطري. وللحق أقول أنَّ فاعلية الدواء والمزايا الجميلة لقصة "هيبسكس" والقصص الأخرى هي ما جعلت صحتي تعود والعافية تدخل إلى جسدي.

في الجزر احتفلنا بعيد الفصح..

وعيد الفصح هو نفسه وقت تفتّح زهور الهيبسكس وتألقها. كنتُ كلَّ أسبوع أكتب إلى عمّتي في لندن من دائرة البريد الذي أصله بعد اجتاز طريق مشجّر.. وأكتب:

"عمّتي العزيزة:

كم أود لو كنتِ معي هنا. لقد حدثت تغيرات عديدة في القرية. دكاكين جديدة أنشئت، وبيوت حديثة شيّدت؛ والقار! حتى القار ما زال جديداً على أعمدة الكهرباء. المحطة القديمة عند التل هُدِّمت، والحكومة عازمة على بناء مدرسة جديدة. بيدَ أنَّ التغيير لم يزحف على طريق أشجار الهيبسكس، ولا حتى ينابيع المياه. الأرض المتاخمة للينابيع هي.. هي! خضراء يانعة تجاورها برك ماء صافٍ وعذب. والمياه جعلت من أزهار الهيبسكس أشد احمراراً وبهاء.

ما أن شرعت الشمس بإشراقها النضِر حتى أدركت زوال "ذات الرئة" ومضاعفاته. طفقتُ أتساءل في سرّي عمّا إذا كان سي. سي ماثيوس قد كتب حول هذا المرض. كم راودتني السعادة لعودتي إلى الجزر رغم الألم الذي يداهمني لعدم سماعي ومعرفتي بـ سي. سي ماثيوس. لا أحد من الذين سألتهم سمع عنه. وحين قلت بأنّه كاتب ولديه مؤلفات أطلقوا ضحكاتهم، قائلين لا وجود لكاتب يقطن قرية "مايارو". سألوني إن كنت في انكلترا حقّاً ، . أقسمتُ لهم مراراً؛ ولمّا

أيقنوا صدق قولي قالوا: من المحتمل أن يكون ماثيوس هذا في انكلترا، لأنَّ الانكليز مولعون بتأليف الكتب.. كان جوابهم باعثاً على الألم! فالانكليز ليسوا وحدهم الذين يؤلفون... تساءلتُ: كيف يكون ماثيوس انكليزياً ويكتب بهذا الإحساس المميز عن الهيبسكس؟!. هكذا، ورغم بهجتي وارتياحي لدفء الشمس وغرابة الليالي فقد ولّت السعادة هاربة منّي، إذ لا أحد يعرف ماثيوس. بل أنَّ أُناساً قليلون تذكروني أنا.

رحتُ أتمشّى منحدراً صوب ينابيع الماء. لم أر ثمة فتاة صغيرة تشدو بصوتها العذب لزهور الهيبسكس؛ والطيور الطنّانة ألفيتها هناك جوار البرك اللامعة نائيةً عن الزهور. حين أدركت دائرة البريد ابتعتُ نموذج رسالة، كتبت:

"عمّتي العزيزة:

أنا الآن في الأسبوع السادس وسعيد جداً لأنّي سأعودُ إليكِ."

لم تبقَّ سوى أيام قليلة وأغادر الجزر. كان والديَّ في غاية الانفعال بسببي؛ وحتّى أصدقائي قراتُ في عيونهم حزن عودتي إلى انكلترا. فكّرتُ كم كنت مسروراً لو أنّي رأيتُ ماثيوس أو التقيت "ماريانا"؛ أو أني لم أعرف عنهما شيئاً على الإطلاق.

وهكذا.. وفي ليلةٍ تركتُ البيتَ يلفّني الحزن والأسى، منحدراً رحتُ باتجاه درب الهيبسكس. التقيتُ رجلاً عجوزاً

عائداً بأبقاره. توقفت فادليت بسؤالي إليه.

- ماثيوس؟... قال متأملاً لبعض الوقت. لاكَ الاسم بطرف لسانه.

- كان معتاداً على الكتابة... قلتُ بشيء من الأمل.

- معتاداً على الكتابة؟!..إيه... طفق العجوز يتمتم، وطفقتُ أنا أتابع عينيه الراحلتين بعيداً.

أعرف شخصاً باسم ماثيوس. كان قارع ناقوس الكنيسة وحفّار قبور أيضاً.

- كلا؛ لا يمكن أن يكون هو. لقد كتبَ حول الـ....

كبّلني الحرج. أردتُ أن أقول أنه كان يكتب عن الحب، فتوقّفتُ متردداً.

- ماذا؟... تساءل الرجل، وأكمل: حولَ ماذا كان يكتب؟

لمحتُ شيئاً غريباً يترقرق في عينيه فيما كانت أصابعهُ ترتعش. لم أكن أبغي تضليله فقلت:

- لقد كتب حول الحب... وخفضت بصري نحو العشب خجلاً.

- وماذا عن الحب ؟

صمتُّ فلم أُجِب...

- ما اسمكَ؟... سألني.

ـ روي.

- حسناً، يا روي. الحب هو كل شيء. فالحياة حب، والله حب.

كان المكان يلفّهُ الهدوء تماماً إلى درجة كنتُ أسمع الأبقار تمضغ العشب والسلاسل تجلجل بفعل تحرّكها خطوة فخطوة.

- لا يبدو أنَّ أحداً يعرف ماثيوس... قلتُ مخاطباً العجوز.

- أظنَّ..... وتوقف قليلاً. ثم قال: أظنَّ أنهم كانوا يدعونه بغير هذا الاسم.

- ربّما لا يكون هو الرجل نفسه. لكنّي أعتقد بوجود فتاة.. نعم فتاة صغيرة.

- ماريانا؟... بادرني الرجل العجوز متسائلاً.

انتفضتُ كالمصعوق!

- نعم؛ كان هو الرجل المقصود! هل تعرف ماريانا؟

- اعتدتُ أن..... توقّفَ فجأةً. بدا كأنه يروم تغيير أفكارِه؛ غير أنّه أكمل: لا أعرف الكثير بالرغم من ذلك سوى أنها رحلت إلى انكلترا للدراسة.. افتقدها ثم سقط أسير الهواجس والأحزان. لقد تأسى كثيراً عليها. كتب لها راجياً العودة فلم تلبِّ رجاءه حتى هذا اليوم.

- لماذا؟!... صرختُ بقلبٍ يختلج. تفرَّستُ في وجهه فقرأتُ

بواعث يأس وألم تمور في عينيه.

قال كأنّه يكلّم نفسه: أنتَ لا تفهم الكثير.. أنت.. أنتَ لا زلتَ صغيراً لا تفقه ماذا يعني مرض ذات الرئة.

آآآآه.. لقد ذويت أنا أيضاً. أحسستُ بالضعف فلم أقدر على الرد. الحقيقة أنّي ما زلتً صغيراً فعلاً، لكن يعلم الله أنّي فهمتُ كلَّ ما قاله. اتَّضح لي الآن لماذا لم تعُد ماريانا؛ ولماذا أجهش الرجلُ العجوز بالبكاء.. تذكّرتٌ "عُد إلى الجزر". أدركتُ أنَّ مرضَهُ لم تقدر كثرةُ العقاقير القضاءَ عليه.

داهمتني ابتداءات إغماء. شعرت كما لو أنَّ الحمّى عادت إلى جسدي من جديد... نظرتُ واهناً إلى الرجل العجوز فأبصرته يتطلّع بعيداً.. قال:

- أنا أبكي.. أحيانا يحدث مثل هذا.

كانت كلماته تخرج بصعوبةٍ بالغة من بين شفتيه:

- أنا لا أبكي؛ ولكن الكلمات القليلة ليست كافية ولا تعطي الحقيقةَ كاملةً. ولو كان لديك شيءٌ منها وليس لديك غيرها فإنَّها الشقاء بعينه.

شـــــارع ساندرا

Sandra street

ميشال انتوني*

ابتهج السيد بليدز معلمنا الجديد لمادة الإنشاء التي تناولنا فيها "شارع ساندرا"؛ وقرأ بعضاً منها بصوتٍ عالٍ أيضاً. بدا مسروراً خصوصاً عندما كتب أحد التلاميذ الذي يسكن في جانب المدينة الآخر. فشارع ساندرا كان على الدوام معتماً ولا يبعث على الاهتمام. على امتداد نصفه الأول تتراصف بيوت معدودة ومدرسة خاصة هي التي ندرس فيها الآن. أما النصف الثاني فليس إلا برّية تتبعثر على أرضها أشجار ضخمة. ابتسم السيد بليدز من زاويتي فمه، وتطلّع صوبنا نحن المنتمين إلى شارع ساندرا. "في الحقيقة".. واصل قراءة ما كتبه أحد التلاميذ: " إنّه الشارع الوحيد في مدينتنا الذي يضم أشجاراً ضخمةٍ. وحسبما أعتقد فإنه لا ينتمي إلى المدينة على الإطلاق لبعده الواضح واختلافه الكبير عن شوارعنا الأخرى.".

---

* القصة هذه مأخوذة من مجموعته القصصية "كريكت في الطريق"

استمر إنشاء التلميذ يشير إلى الأشياء المثيرة للفتنة والبهجة في جانب المدينة الآخر. عرّجَ بعدها على شارع ساندرا قائلاً أنّه لا يعتقد أن أحداً من الناس يثير هذا الشارع اهتمامه. فقرب شارعهم على سبيل المقارنة ثمة سهلٌ أجرد، خالٍ من الأشجار بوسعهم ممارسة لعبتي كرة القدم والكريكت فيه. أمّا صبية شارع ساندرا فليس لهم إلا قارعة الطريق. ولغرض التسلية والتندر وصف السيد بليدز المنتمي إلى جانب المدينة الآخر شارع ساندرا كفتاة صغيرة ساذجة هاربة من الأجمات بغية إخفاء جمالها. ضحك لحظتها الجميع باستثناء القلّة الذين هم من شارع ساندرا. فكّرتُ في ما سيحدث عندما ينتهي دوام المدرسة ذلك اليوم. غير أنَ السيد بليدز استدركَ قائلاً: "أنَّ كل ما قاله محط دعابة، وأنَّ شارع ساندرا في الحقيقة جميلٌ جداً". لا أدري هل كان يعني ذلك بحق أم لا؛ لكنه أبدى سروراً واضحاً خمنت أنَّ مردّه هو انتماؤه إلى الجانب الآخر من المدينة.

طفق مستمراً ما كتبه التلاميذ؛ وقد أظهر بعضها لمحات جميلة ورائعة للشارع. وهذا ما كتبناه نحن ساكنو ساندرا؛ وقد أثار مرح وارتياح السيد بليدز الذي خمّنت أن إظهاره لهذا الانفعال إنما قصد فيه إرضاءنا وتهدئتنا. وللحق أقول أن القليل منّا مَن اكتسى وجهه بمسحة الهدوء؛ وقد اكتشف معلمنا

ذلك فقال: "حسناً؛ في الثلاثاء القادم سوف يكون موضوعنا الإنشائي عن جانب المدينة الآخر."انطلقت عندها ضحكاتنا الشيطانية نحن أبناء شارع ساندرا؛ فاندفعت نظرات السيد بليدز تطالع ردّة فعل تلاميذ الجانب الآخر. فكّرت بما سيحدث يوم الثلاثاء القادم عندما سينتهي دوام المدرسة، لكني شعرت أنّه مهما حدث فلن يغيّر شيئاً سواء لشارعنا أو للجانب الآخر.

في الواقع كان إنشاء التلميذ متسماً بالحقيقة؛ إذ كان شارع ساندرا يختلف عن بقية شوارع المدينة التي ما وراءه. ففي بدايته تنبثق أجمات كثيفة يلفُّها هدوءٌ مطبق. ويستمر الشارع بامتدادٍ مستقيمٍ صوب الغابات؛ وحال ابتعاده عن المدينة يكون بإمكان الناظر مشاهدة بيوت ودكاكين منتشرة على جانبيه، تعقبها المدرسة الوحيدة ثم تتوزع بعدها بيوتات محدودة بعددها تبتدئ منها أشجارٌ ضخمة تستمر حتى النهر المتاخم للغابات. وخلال ساعات النهار يكون الجميع في سكون باستثناء صوت أحدهم يخاطب جاراً له. وفي ما إذا حدث شيءٌ من الهياج في ساحة المدرسة فانَّ ذلك لا يسبب إلا القليل من تعكير صفو الشارع.

في جانب المدينة الآخر كانت ثمة فرق "الستيل باند" الموسيقية الشعبية غير المحببة بسبب صخبها. وكنت مصمماً

على ذكرها في إنشائي القادم رغم شغفي لسماعها. ففي شارعنا ينتفي وجود مثل هذه الفرق ومرد ذلك حسب ظنّي إلى كوننا أناس محتشمين ومتواضعين ولا نرغب في سماع الأصوات الصاخبة التي تصدرها الآلات الموسيقية لهذه الفرق.

بقيتُ جالساً في قاعة الدرس مستذكِراً ما كتبه التلميذ. خارج النافذة كان بوسعي مشاهدة النسوة يتحركنَ من أمام المحلات وهنَّ في حالة زحام. لا تجتاز أحداهنَّ الأخرى دون أن يتوقفا للتحدث ما دفعني إلى الضحك. فهذا المشهد واحد من المشاهد التي كتبها التلميذ "كينيث" في إنشائه؛ وكان صادقاً. ما الذي يجري على ألسنتهن يا ترى؟!. لا أدري! كل الذي أعرفه أن أولئك النسوة لا يظهر عليهنَّ ترك شارع ساندرا أو الذهاب إلى المدينة. ضحكتُ شاعراً بالزهو يتملكني لأني سأدوّن هذا في موضوع إنشاء الثلاثاء القادم... وكأني غارقٌ في حلم مكثت أتطلع خارج النافذة متابعاً شارع ساندرا وهو يمتد بعيداً عن صف البيوت المتجاورة حتى يبدو لكأنه لا ينتمي إلى المدينة، ولا يدعو إلى الفخر على الإطلاق. يتراءى بائساً كما لو كان ساعياً لاستقبال السلام وراغباً في الطمأنينة. شعرت بالبؤس يحتويني ؛ ليس لأنّه ناءٍ عن المدينة بل بسبب كونه درباً ضيقاً وحسيراً يبعث على الغرابة والضحك. وهذا ما كتبه "كينيث" نفسه. فقد كتب في حالة غضب ما أشعر به

الآن بالمتعة. وكتب عن المباهج والقصور في جانبهم، وبيَّن لماذا تبدو بيوتهم جميلةً ومثيرة للاهتمام.

وفيما أنا أتطلع إلى شارع ساندرا سادني إدراك لماذا يظهر هذا الشارع جميلاً ورائعاً. ورغم أنّه باهت بالنسبة له فإنّه يعني الكثير بالنسبة لي. إنّه.....

- آ!... جفلتُ لحظةَ استقرت يدٌ على كتفي.
- إنها فرصة الدرس. تفوَّه معلمنا السيد بليدز.
- آ.. نعم أستاذ.

كان التلاميذ قد خرجوا إلى الساحة ؛ ولم أكن سمعت رنين الجرس حينما ابتدأ. حدّق السيد في وجهي وابتسم: "بماذا كنتَ تفكر؟".

تراءى لي كما لو كان ينظر في داخلي. داخل أبعد نقطةٍ في رأسي ما جعلني أتلعثم. كان لمّا يزل مبتسماً ابتسامة رقيقة: "

- أنتَ واحدٌ ممن يسكنون شارع ساندرا؛ أليس كذلك؟"
- نعم؛ أستاذ.
- هذا ما خمنته.

***

ما حدث الثلاثاء القادم بعد انتهاء دوام المدرسة كان أكثر سوءاً مما حدث قبلها. كأنَّ ثمّة غموضاً يثير الشك ويخلق

سؤالاً: كيف لم يُبدِ الجيران أية شكوى؟ ولماذا لم يسمع السيد بليدز بما حدث؟... حضرنا إلى المدرسة صباح اليوم التالي كأصدقاء مخلصين. لا أثر يشي بحدوث اقتتال بيننا، متجنبين إظهار أية خدوش أو رضوض تدفع إلى سهولة الاكتشاف. أحضر كلٌّ منّا موضوعه الإنشائي؛ وكان السيد بليدز متشوقاً لقراءتها وإعطاء أحكامه فيها. لم يعرض أحد أمامه الصور المشرقة والصريحة كما عرضها تلاميذ الجانب الآخر من المدينة قبلاً. قال أنّه يعرف ذلك الجانب خير معرفةٍ ولن يستطيع أحد خداعه، لذا فإنَّ أي تلميذ كتب عن شارع ساندرا عليه إثبات ما كتبه بأمثلة وبراهين. ثم أضاف أنّه عندما يبتدئ فصل "المانجا" سوف يرى التلميذ الذي لم يتكلم عن شارع ساندرا بإنصاف.". وبعث بنظرةٍ خاطفةٍ نحوي، ما دفعني إلى الشعور بالحرج وتحويل عيني جانباً.

مُذ ذلك اليوم بتُّ أشعر بالخجل كلّما رأيت السيد بليدز. وحينما ألمحه يخطو باتجاهي أتحاشاه متحوّلاً إلى الاتجاه الآخر، فيرسم ابتسامة فاترة تنفلت من زاويتي فمه. وفي يوم كنت واقفاً عند نافذة قاعة الدرس أرسلُ بنظري خارجاً متأملاً ومفكراً بموضوع الإنشاء عندما أحسستُ مرةً أخرى بلمسة خفيفة على كتفي:

- تتطلّع خارجاً؟

- نعم؛ أستاذ.

دنا منّي؛ ولم أكن أتبيّن في ما إذا كان ينظر إليَّ من عَلٍ أم كان يصوب نظره إلى الخارج؟

- الجو ساخن.. ها؟

- نعم.

وقف إلى جانبي فصرنا نتطلّع خارجاً. كان الوقت ظهراً والشمس تلتهب فوق شارع ساندرا؛ والبيوت تنتصب هناك طويلةً باهتة. لا تبدر أيَّما حركة حول أماكن وجود الدجاج والطيور الأخرى المضطجعة في ظلال البيوت. اكتنفني الحزن وأنا ألقي بنظراتي على البيوت الممتدة عبر التلال. اختلج قلبي فجأةً فالتفتُّ إلى السيد بليدز، وكنتُ على وشك النطق عندما غيرت رأيِّ ؛ ذلك أنَّ من الصعوبة إدراك مشاعري. رفعت عيني إليه فاكتشفتُ وجهه متشحاً بالحزن أيضاً بينما كانت عيناه تتجولان من بيتٍ لبيت. كانت بيوتنا قديمة زالَ عنها طلاؤها جراء تهاطل الإمطار ولم يعُاد طلاؤها ثانيةً ؛ ولم تكن ثمَّة أبواب خارجية للبيوت ولا أسيجة تحددها كما هو حال بيوت المدينة. بعض الأحيان وبفعل تراشق المطر المفاجئ لومضةٍ قصيرة يفر الدجاج هارباً، وتفر الطيور الأخرى مندفعةً من بيت لآخر محدثة وراءها فورةَ غبار متطاير. استدرت إلى السيد بليدز فألفيته يرسم ابتسامةً:

- الدجاج!.. قال.

- لا توجد أبواب.. قلت بشيء من الاعتذار.

- نعم.. لا توجد أبواب. تمتم ضاحكاً.

- بسبب..... توقفت. لا أعرف حقّاً لماذا لا توجد أبواب رئيسية للبيوت.

- لأنك لم تلاحظ ذلك من قبل.

- بل كنتُ ألاحظها.. قلتُ مدافعاً.

حدَّق في وجهي بصرامةٍ رافعاً حاجبيه، ثم فاه بتمهلٍ:

- لاحظتَ ذلك من قبل؛ ولكن هل وضعت هذا في موضوع الإنشاء؟ أنتَ من شارع ساندرا، أليس كذلك؟

- يوجد في قاعة الدرس الكثير من شارع ساندرا.. قلتُ بانكماش.

- هل لاحظتَ غابة أشجار الأرز هنالك، في القمّة؟.. أنت تكلمتَ عن فرق " الستيل باند " في جانب المدينة الآخر. هل تكلمتَ عن النهر؟ هل لاحظتَ التلال؟

- نعم.

- نعم!.. كان صوته حاداً ولاذعاً فيما عيناه تبدوان ملتهبتين.

- لاحظتَ كل ذلك ولم تُشر إليه؟ ها.....؟ كم عدد الدرجات التي وضعتها لك؟

- خمس وأربعون.

أظهر تعجباً واضحاً:

- أعطيتكَ خمساً وأربعين لأنكَ أشرتَ إلى الضوضاء وعربات الترام القذرة في المدينة.. انظر!... قال، وأكمل: ألا ترى؟!

- زهور المانجا؟.. قلتُ وقد تملكتني الرغبة في البكاء: "لقد كنتُ أروم توضيحها لكَ."

- هل كتبتها؟

- كلا.

تلك اللحظة وددتُ الفرار. وجدته ينحني محدّقاً في عيني. تراءى وجههُ قاسياً وسط تعبيرات العطف الكبيرة. واكتشفت الغضب العنيف يكاد يُفقده السيطرة على نفسه.

- يوجد ثمّةَ شيءٌ كالملاحظة، يا ستيف. نعم الملاحظة! فأنتَ تعيش في شارع ساندرا. وكينيث كتبَ عنه أفضل ممّا كتبت أنت.

انتفضتُ محتّجاً:

- لكن كينيث قال أن شارع ساندرا رطبٌ جداً.

- طبعاً. هذا ما كان يقصده هو بذاتهِ. إنّه يأتي من جانبٍ آخر. فماذا تريده أن يكتب؟!.. عن البيوت المبهرجة وأبوابها الشبيهة بالزنزانات؟ عن الجدران العالية التي تعيق المخيلة

وتكبحها؟ عن المصانع المكتظّة بالوجوه الجامدة كالصخور؟ عن الركض وراء الباصات؟ العدو خلف القطارات؟.. هل تريده أن يكتب عن ذلك؟. قال أن شارع ساندرا رطبٌ.. حسناً. هل تستطيع إثبات نقيض ذلك؟

إحساس بالجزع انتابني ؛ وعجباً كيف لم انتبه لمثل هذه الملاحظات من قبل.... وكان السيد بليدز يواصل كلامه عندما رنَّ جرس انتهاء الدرس. جفلت الطيور وفرّت فزعةً إلى الشمس الساخنة عبر الطريق. ارتفع الغبار وعلا فوق البيوت فيما اصطدمت عيناي بمشهد براعم المانجا الصفراء.

- الجرس.. أستاذ!

- نعم الجرس.. ماذا عندنا الدرس القادم ؛ درس الجغرافية؟

- نعم؛ أستاذ.

حين هممتُ بالخروج لمحتُ السيد بليدز لمّا يزل واقفاً ونظراته مصوبة باتجاه الطريق.

***

مرَّ وقت طويل قبل أن يحدث مثل هذا الموقف مرةً أخرى.. على أي حال! مرةً كنتُ واقفاً عند النافذة أتطلّع لما هو أمامي. كان الهواء جافاً ومكتسياً بالحرارة أرقب الطيور الطليقة المنتشرة بين البيوت، وأرى ثمّةَ نسوة يتبادلن أحاديث

وابتسامات قصيرة لا تطول من خلال نوافذ بيوتهن والتلال تتناثر بغير انتظام، وبراعم أشجار البويا تبرق من بعيد ما غمرني بالجذلِ والانتشاء وقفز إلى رأسي سؤال حول عدد الناس الذين لاحظوا هذا وعرفوا أنها إشارة موحية لاقتراب فصل الأمطار. لا أثر لبراعم المانجا يمكن مشاهدتها الآن إلا بعد استحالتها ثماراً. أنا أعرف وفرتها الكبيرة ذلك أنني سبق وذهبت إلى التلال.

ضحكتُ في داخلي حين تذكرتُ "يوجد شيءٌ كالملاحظة؛ يا ستيف ". رغبت لو أنَّ السيد بليدز يدنو الآن من النافذة لأجعله يلاحظ الأشياء المستلقية هناك بين أشجار المانجا عند التلال.

كنت عارفاً أنه لم يكن غاضباً منّي على الإطلاق؛ حتى ولا مع أيّ تلميذٍ مهما كان انتماؤه. ظلَّ حبُّنا لشخصه يتنامى، فقد عرفناه مُبهجاً على الرغمِ من استغراقه - أغلب الأحيان - في التفكير والتحليق في رؤى الأحلام. كانت عيناه تومضان عندما يشرع بقراءة كتاباتنا ؛ وإذْ يقف عند كلمة لا تعجبه يقطب حاجبيه ويتساءل: "أي مخنث استخدم مثل هذه الكلمة؟". وإذا أعجب بموضوعٍ لأحدنا تتهاطل من فمه عبارات الثناء على كاتبه الذي مؤكداً يبتهج ويزهو في وقت يكتسح بقية التلاميذ حسدٌ كاسح.

وغالباً ما اكتنفني الحسد؛ والسيد بليدز يهوى باهتمام بالغ درس الإنشاء؛ لذا جهدتُ كثيراً في سبيل إرضائه والتصالح معه بسبب الموقف الذي حدث ذلك اليوم جوار النافذة. تشوقت لأثبت له كم هي قوة ملاحظتي، وغالباً ما كنتُ ألاحظ أشياء جديدة فأضعها في الإنشاء. وحينما أضع شيئاً جديداً كان السيد بليد يطالعني بنظرة خاصة. وبعض الأحيان يسودني اعتقاد انه سيتحدث معي جانباً، ولكن عديد الأسابيع انقضت دون أن نقف عند النافذة ونتحدث.

لم أبادر بالوقوف هناك بنفسي لأني توقعته هو من يقوم بذلك. كنت أتابعه بطرف عيني.

- ظهرت الشمس من جديد. قال.
- السحب كثيرة.. قلتُ.

توقف المطر على الأكثر ولكن ما زالت هناك بقع كبيرة من الغيوم السوداء في السماء. عندما تهب الريح تتحرك ببطء وبفوضى.. لو كانت الشمس طليقة فإن هنالك غيوم أخرى ستجيء. الشمس تشرق براقة الآن رغم وجود رذاذ طفيف، وبمقدوري شم البخار المرتفع من القطران الساخن والأسطح المتجاورة.

- المطر يتساقط، الشمس مشرقة.. قال السيد بليد.

تذكرت ما قالوه عن ذلك فابتسمت. وعندما ضغطني

السيد بليد ودفعني للتكلم ضحكت ولم أقل شيئاً. بعدها قال متأملاً:

- هل تعتقد أنهم كانوا على حق؟

- ماذا، سيدي؟

- عن جذور المورتيلا؟

وضعت كفّي على فمي أخفي دهشتي."كيف عرِفَ ذلك؟".

رسم ابتسامة وهو يطالعني."لن تستطيع التهرّب الآن."

أنكشف الأمر بأكمله. لا قدرة لي على الضحك. لقد وضعتُ في الإنشاء كيف أنني ذهبتُ إلى التلال مساء الأحد الماضي؛ وكيف كانت أشجار المانجا محملة بالثمار الصغيرة التي بعضها ممتلىء؛ وكيف كانت شجيرات الموز بين أشجار المورتيلا والبوي. لقد تحدثت أيضاً عن عناقيد الموز الخضراء حيث قطفتُ بعضاً منها وأخفيته، وكيف قفزت بعد ذلك إلى النهر عابراً إلى الضفة الأخرى.

- إنهم على حق.. قلت، متظاهراً بمتابعة البخار المتصاعد من القطران الساخن.

- أحب الموز.. قال السيد بليد. وكنت متأكداً أنه لعق شفتيه وهو يبعث بنظراته إلى التلال.

لقد أوقِع بي. أحسست كأني أشبهه. إنني أحب الموز أيضاً. فالموز يجعلني العق شفتيَّ بلساني. فكرت بالعناقيد جميعا،

لابدَّ أنها صفراء الآن بين جذور المورتيلا.

- سيدي ـــــــــــ.. قلت؛ وترددت.

ثم أخذت الفرصة متحمساً؛ وعندما أجاب غمرني شعور بالسعادة لغامرة.

تذكرتُ ذلك المساء عندما انجلت السماء فبان صفاؤها وذهب عنفوانها. دفعت الرياحُ الغيومُ الداكنة، وكان الدليل الوحيد على هطول الأمطار هو البرك الصغيرة على امتداد شارع ساندرا. أتذكر التلال كشيء غريب وقع عليه السحر. شعرت أن ذلك السحر تسبب به السيد بليدز بشكل رئيسي، كونه كان معي. تفرجنا على أوراق الكاكاو وقد أحدث لها المطر لمعاناً. واعترف السيد بليدز أنه لم يكن يتصور أنَّ ثمة أعداد كبيرة من أشجار الكاكاو في التلال. طالعنا أيضا أشجار "السيب " المنتشرة بين أشجار المانجا المثقلة بثمارها وحمرة إزهار "الرتبكت" تكتسب حمرة الدم.

جئنا إلى شجيرات المورتيلا التي أخفيت فيها ثمرات الموز. تقصدت متابعة السيد بليد ومشاهدة في ما إذا لعق شفتيه أم لا؛ لكنه لم يكن منتبهاً. انحنيت ورفعتُ غطاء الإخفاء عن الثمرات.

- سيدي.. صرختُ بدهشة غامرة. كان السيد بليدز مواصلاً تحديقه عبر الأشجار. رفعت ناظريَّ. كان شارع

ساندرا يترامى، عن قربٍ، مستحماً بالضوء.

- الموز؛ سيدي.. قلت.

- الموز.. "صرخَ".. كل ما تراه حولك موز، يا ستيف؟

كنتُ مرتبكاً. كنت اعتقد أننا جئنا إلى التلال من أجل الموز.

طالعني السيد بليدز. لم أبصره أبداً مرتبكاً ومهزوماً كما أراه الآن.

- يا إلهي!.. راح يصرخ.. أتدري؛ بدلاً من أن تتمي إلى كينيث انتَمِ إلى شارع ساندرا.

الذُرة النفيسة

THE precious CORN

ميشال انتوني*

استيقظ الحارس مبكراً بعد أن هجع بصعوبةٍ بالغة جراء صرفه الليل مصغياً لجنون الريح التي أقضّت مضجعه. مسرعاً خرج باتجاه الحقل ليتحرى ما حدث لشجيرات الذرة. ولشد ما تألمَ لحظة أكتشفَ أن الريح حطمت الجانب الشرقي من الحقل بأكمله. وبالرغم من أنها لم تقتلع الشجيرات من جذورها إلاّ أنها سببت خراباً وتدميراً كبيرين. ساوره إثر ذلك ألمٌ ممض، لكنه حاول جاهداً تمالك نفسه.

كان قد أمضى أياماً كاملة من العمل الجاد واكتشف الآن أن الدمارَ واسعٌ ؛ لذا صممَّ على إصلاح ما حصل. انحنى ساعياً لتعديل إحدى النبتات برفقٍ وروية. كوَّمَ حفنةَ تراب داكنٍ وخصب حول جذورها، وراح يدكّه سعياً لتماسكها وتثبيتها.. راقب بأسى حافات أوراقها الخضراء الطويلة أو الزغب الملتمع عند سطحها. ما لبث أن نهض ساعياً لتفقد

---

* كاتب من ترينيداد. القصة مأخوذة من مجموعة " كريكت في الطريق

الأجزاء العليا للسيقان إن كان حدث لها شيءُ.. يا للعذاب! كم هي مثيرةٌ للرثاء! كانت ثمة شجيرات فتية لم تُعط ثمارها بعد قد أصابها الضرر، بينما تركت الريح الشجيرات الأخرى..

على أية حال كانت تلك مصادفة، والريح على العموم ليست عدوة، كما أنها نادراً ما تسبب الأذى. لم يستطع تذكر آخر وقت داهمتهم فيه الريح عابثة بما في الحقل، ولم تثر خشيته ريح كهذه، خشيته تكمن في لصوص الذرة، أو لص الذرة بشكل أدق فهو لم يدرك ما إذا كان ثمة لصوص آخرون قطعاً؛ لكنه على يقين من وجود لصُ واحد ذلك الرجل الذي يسكن هناك في النهاية البعيدة من الحقل فهو بمثابة الخنجر المرتكن في خاصرته.. وشجيرات الذرة القريبة من بيته غالباً ما تُجرَّد من عرانيسها.. كان كلما مرَّ جوار ذلك البيت شمَّ رائحةَ الذرة المحمصة تشيع في الهواء المحيط. من أين له يا ترى وهو لم يضع بدرة واحدة في التربة على الإطلاق: انه العدو الحقيقي الذي يتنافس معه.

ليل نهار راح يخطط للقبض على اللص. غير أن جميع المكائد ومحاولات الإيقاع به لم تفلح لذا كان يُعزي نفسه بالمشي ممسكاً عصا صغيرة تنتهي بعقدة كبيرة بارزة، رأى فيها آخر فخُ يمتلكه.. فإذا أمسك باللص مُتلبساً بجرمه لن

يفقد عرانيسه بعد ذلك أبداً.

حفر الأرض وكوم التراب حول شجيرة أخرى في محاولة لتثبيتها. استطاع تقويم ما يزيد على نصف دزّنية كان خط طويل من النباتات المتضررة يمتد إلى مسافة بعيدة.. نهض من جديد. ألقى نظرةً متفحصة لتقدير ما يتوجَّب عمله. لم يُطل التفكير غير أنه سحب شهيقاً عميقاً ثم أطبق فكّيه بأحكام. حقّاً كان الجانب الخلفي من بيت الرجل مُطلا على حقل الذرة. وكما قدر الرجل فأن الحقل يمتد واسعاً حتى بيته..وبطبيعة الحال كان يُستبعد أن يكون لصاً، لكن الأوقات الصعبة والربو وأزهار الحقل المجاور يمثل اختباراً أمام اصلب الرجال، وبالأخص إذا كانوا يحبون الذرة كما هو شأنه.. في كثير من الأحيان وتحت تأثير المرض الذي يثقل أنفاسه ويبعده عن العمل كان يزحف من بين تلك الشجيرات، يعجل بتكسير العرانيس ثم يدسها في حقيبة صغيرة، ما أن تمتلئ حتى يعود زاحفاً على يديه وركبتيه صوب بيته متطلعاً بارتباكٍ من حوله، شاكراً السماء لعدم اكتشافه. كان شديد الحرص وغيوراً على حسن سمعته، لذا أنَّبه ضميرُه حالما ابتدأ بإنارة بيته وشرع بإشعال الفحم. لكنَّ ضخامة المزرعة وسعتها كانت تعيد له الطمأنينة. فقلة العرانيس المقطوعة كما يحسب لا توحي باختلافٍ ظاهر قياساً بغزارة الإنتاج ؛

وفي الليلة الفائتة كان قد سمع العاصفة أيضاً. ومع الضياء الأول تطلّع خارج النافذة.. لاحظ ثمَّة انبعاجاً كبيراً في الجانب البعيد من الحقل.. ساوره اطمئنان وعرف أنه سيكون آمناً في أيام كثيرة قادمة.. غير أنّه أحس بالأسى على حال الحارس، وكمية الذرة المتضررة. ومع ذلك فالحقل لا يعود للحارس نفسه. كان هذا كافياً لجعله كلما سرق شيئاً لا يشعر بالإساءة. فالأرض وما تنتجه يعودان إلى ساندرسن الثري الذي أفسدته ثروته فغدا أحقر إنسان يحيا في هذه الدنيا. وحين شاعت أخبار شكوى الحارس حول سرقة الذرة التي بعهدته هدده ساندرسن بصرفه من العمل قائلاً: إنه إنما يستخدمه لحراسة الحقل. كم كان ذلك مخزياً بحق! لكنه جيد في نفس الوقت إذ لم يعد بعدها يشتكي لساندرسن.

راقب الرجل / اللص الشجيرات التالفة مرة أخرى. داهم عقله شعوراً بالانتقام.. لم يكن التدمير واسعاً بما فيه الكفاية وما ساندرسن إلا مخلوق فاسد، وما حارسه إلا رجل غبي.

بدأ كلُّ شيء غريباً! ذلك أنَّ الذرة سوف تينع وتزدهر.. طفت ابتسامة غريبة على وجه الرجل: "إنَّ الحياة لغزٌ بحق. ولا حبوب أشهى واكبر من حبوب ساندرسن". حين ساوره هذا الاعتقاد كان أكثر إدراكاً لخواء معدته نظراً إلى غنى

الحقل وسعته.. لم يكن قادراً على الانتظار حتى حلول الليل.

أمضى الحارس طوال نهاره يعمل على جعل النباتات أكثر تماسكا وانتصاباً.. يقوّم واحدة، ويشكل قالباً لتثبيت أخرى أو يقطع تلك التي كسرتها الريح. وأمامه كانت نصال أوراق الشجيرات تلتمع مع أطراف وشعيرات الشجيرات الفتية.. ظل يعمل حتى حلول الظلام، ثم ترك العمل بآلة " الكتلس ". إذ ليس من الحكمة الاستمرار بتقطيع الشجيرات. فالضرر الذي أحدثته الريح كان كافياً. نهض وعيناه تمسحان الحقل بكامله.. لا توجد مزرعة ذرة على حدّ علمه فسيحة كهذه. كانت النصال تبدو طويلة ؛ مرتفعة ومقوسة نوعاً ما. وصفرة العرانيس المكتنزة بالحبوب يمكن رؤيتها في الفضاء القريب. فكرَ إنها تحظى باهتمامه، ولهذا فهي تزهو يانعة. "إنها الخبرة! "خمّن في نفسه.." الخبرة في هذا المضمار هي مفتاح الشيء.. عليك اكتسابها مقرونة بحبك لعملك، ثم تسميد وتهذيب كل بوصة من التربة وتركها بعد ذلك ترتاح قليلاً. يعقبها اختيار أنقى البذور وأفضلها مع قليل من ماء المطر، وقليل من الاعتناء. كل هذا كفيل بجعل الشجيرات تندفع عالياً فتنمو مثل صغاره."

لم يكن قد أحب صغاره كما أحب الذرة. وضع آلة "الكتلس" في حزمة عدته. تناول عصاه وراح كعادته القديمة يخطو في الظلام. شرع يتفحص بمحبةٍ غامرة الشجيرات التي

صمدت. ألفى بعضها يتمايل قليلاً، ومع ذلك فهي في أحسن حال. لكزهنَّ بعصاه رغم معرفته عدم إصابتهن بسوء. في السابق اعتاد أن يلكزهنَّ بعصاه الكبيرة ذات العقد كي يختبر مقدرتهن على الصمود... تذكر كيف أن الريح أقلقته على امتداد ساعات الليلة الماضية ؛ ولم يكن يدرك مقدار الضرر الذي سيحصل. أما الآن فقد انتهى من وضع الاشياء في أماكنها كما ينبغي، وما زالت لديه طاقة للعمل طوال اليوم. اعتراه إحساس بسعادة طاغية شرعت تغوص في أعماقه.

كان في لحظة الاستدارة والعودة إلى بيته عندما أجفلته خشخشة بين سيقان الذرة. على مقربةٍ تراءت له حركةُ ظلٍّ خاطفة؛ بعدها عاد كل شيء هادئاً. ولشد ما حولته تلك الحركة الصغيرة إلى مخلوقٍ آخر. اندفعَ الدمُ إلى رأسهِ: " لص الذرة! ".. اعتقد ذلك." آه ؛ إنّه لص الذرة! "... أحس بدقات عنيفة تضرب صدغيه. الظل ما يزال ساكناً، معتقداً أنّه لم يُكتشَف؛ لكنَّ الحارسَ تحرك بين الشجيرات مشحوناً بالغضب، وقوياً من دونه حتى. العصا بيده؛ وعقدها بدت كما لو كانت بثوراً أو تقرحات تثير الرهبة. رفعها، وبكل ما اختزن من قوة هوى بها فوق مكان الظل.

- آآآه!

دوّت صرخةٌ حادة، ومذهلة هتكت صمت المكان. ثم شيئاً

فشيئاً شرعت بالانخفاض/مختلطةً مع أنفاس تثاقلت رويداً رويدا.. تراءت يد الحارس كأذرع طاحونة هوائية في أوج حركتها. استمر ينهال بها في الظلام فطالت كل ما أمامه، حتى اذا توقف وتنفس الصعداء اكتشف أن الصمت يتسيد المكان.

بارتباكٍ صار يحدق في عصاه. لاحظ العقدة التي تحتل رأسها قد تهشمت، وثمّة شيءٌ يبرق عند طرفها. تحسسها بإصبعه فاكتشفها دافئة ورطبة. أصابه الذهول عندما لمح الدم يسيل من بين أصابعه. تطلع مرتبكاً حوله ؛ ما لبث أن عدا مسرعاً خارج الحقل. رمى العصا بعيداً وتحرك ؛ غير مدركٍ ما سيفعل بالضبط. تساءل وقلبه يختلج في ما إذا كان الرجل قد استطاع اللحظة الزحف والانسلال خارجاً. لم يكن يروم التفكير بما تسلل إلى رأسه من هواجس. طفق يترنح تاركاً جيوش الذرة خلف ظهره.

لا توجد ثمّةَ عاصفة تلك الليلة، غير أنّه لم ينم. انتابته مشاعر مفزعة. ظلَّ يتقلب في فراشه؛ ما لبثَ أن نهض ؛ ارتدى ملابسه وغادر داره؛ لا تخطر في ذهنه شؤون الذرة مطلقاً... في الأول كانت الشراسة والعنف يحتلان قلبه أمّا الآن فالخوف حل محلهما. لم يحدث شيءٌ من مثل هذا في حياته الماضية. لم يحدث أبداً.

بخلجات رجلٍ خائر خطا صوب مركز الشرطة...

أربعة من رجال الشرطة صحبوه. لم يكونوا مكترثين في سيرهم داخل الحقل، فذلك لا يعنيهم بشيء؛ ولم يكونوا شديدي الاهتمام بالمهمة التي جاءوا من أجلها؛ ذلك أن الوقت كان متأخراً والفعل التافه الذي ارتكبه الرجل الحارس ظنوه ليس بذي بال. ضربات عصا خفيفة على لص دفعته الدناءة لسرقة بضعة عرانيس.

خطوا عبر شجيرات الذرة صانعين أمامهم درباً كبيراً وواسعاً؛ دافعين الشجيرات جانباً أو راكلينها بأحذيتهم الثقيلة. وكانت الكتل المنسحقة تحت الأحذية هي عرانيس الذرة؛ تنغرز وتتصمغ في الوحل.

تكلموا معه بشكلٍ عدائي؛ متسائلين عن موقع الحدث بالضبط. عكست عيناه انفعالاً شديداً وهو يقودهم صوب المكان الذي ما أن أدركوه حتى وجهوا مصابيحهم اليدوية على شبحٍ مُمدّد أرضاً... شيءٌ ما شخر في الظلام؛ هو ذاته الذي تهاوى تحت يديه...

شرطي واحدٌ وقف عند الجثة؛ فيما ثلاثةٌ راحوا يقودون الحارس خارج الحقل.

بلوندو الإسكافي

BLONDO THE SHOEMALER

بونفتري دي بيرير *

لا أحد من الباريسيين لا يعرف "الاسكافي بلوندو" الذي يتخذ من دكانٍ في شارع "كرتيسى دوتيرير" مأوى للعمل والسكن.. يُصلح ما اهترأ من الأحذية ويهزأ ممّن لا يتمتع بالحياة.. يحسب دنياه فسحةً للبهجة و النبيذ الفاخر حباً يعلو فوق عديد الرغبات ، مستعد اً لمشاركة من يبغي منادمته صارفاً نهاره مدندنا ًومغنياً ، داعياً جيرانه للاستمتاع..لهذا لم يكن يوما كمداً ولا حزيناً باستثناء مشكلتين مازال يتذكرهما : الأولى يوم عثر على قدر حديدي في جدار متهالك، فوجده مليئا بكمية وفيرة من مال لعملة قديمة ، قديمة جداً ؛ ذهباً وفضة.. ولأنه وقف عاجزاً عن تقدير قيمتها الهائلة فقد سبّبت لديه قلقاً.. صار شغله الشاغل ذلك القدر المليء بالقطع البراقة اللاصفة، لذا طفق

---

* كاتب فرنسي (١٥٠٠ – ١٥٤٠) ولد من عائلة نبيلة. تسببّت كتاباته في خلق أعداء كثيرين له ممّا اضطره لترك باريس والاستقرار في مدينة (ليون).. قضى منتحراً بسيفٍ غرزه في أحشائه.

يفكر: "إن لم يكن المال رهن الاستعمال في هذا الوقت فمتى إذا يمكنني شراء الرغيف أو النبيذ.. ثم أنّي لو أخذته إلى الصاغة لبيعه فإنهم إمّا أن يتحايلون عليَّ ويخدعوني فيسرقوه عندها أخسر هذا الكنز أو أنهم سيطالبونني بنسبة كبيرة من الشراكة به مدّعين أنهم اكتشفوه أيضا. وعندها لن أحظَ حتى بنصف قيمته. اعتراه ألم ممض وشعور انّ الأعين ستلاحقه أينما أخفاه فصار ما أن يخرج من مأواه لقضاء عمل ما حتى يقفل عائدا، مسرعا كي ما يتفقده ويطمئن لوجوده. لقد تسربت إلى دواخله أذرع القلق والتوجس ووقف حائراً، مرتبكاً.. حتى جاء اليوم الذي شعر أنّه استعاد ثقته بنفسه فانبرى يحاورها: "لم أستفد من كل هذا، ولم تفدني هي. فقط ولّدَت لدي القلق والتفكير المرهق.وهذا سيجعل من يراني يساوره اليقين أنّ شيئاً ما يحدث لي.لم يجلب لي القدر سوى الحظ التعيس."

تلك اللحظة إنبثقت في أعماقه بؤرة انشراح وقرار ارتياح استدار بتأثيرها إلى القِدر، حاملاً إيّاه ، ومتوجهاً به إلى نهر "السين"... هناك؛ من منتصف الجسر رما به إلى الأعماق، مختتماً كل بواعث الهواجس والارتباك.

أما المشكلة الثانية التي أفسدت عليه مزاجه وساعات إرتياحه فهي حضور ذلك النزيل الجنتلمان واتخاذهِ البيت المقابل للمأوى. كان الرجل يمتلك قرداً نزقاً، عابثاً استطاع

ارتكاب آلاف الحماقات والمخادعات المثيرة للإزعاج بينما وقف بلوندو غير قادرٍ على الشكوى للنزيل الوقور.

يقف القرد في شرفة البيت متطلعاً لما يفعله الإسكافي في مأواه وما يصنعه من قَطع السير الجلدية وإلصاقها ؛ ترميم الأحذية وترقيعها.. وحالما يبرح المسكين مكانه بغية تناول وجبة الغداء أو العشاء أو قضاء بعض المتطلبات في الخارج حتّى يهب القرد هابطاً، داخلاً المأوى؛ ماسكاً السكين وقاطعاً بها ما يقع بيده من سيور وقِطع جلدية، تماماً كما كان يشاهد بلوندو يفعل.

إزاءَ ذلك لم يعد بلوندو الإسكافي، المسكين يجرؤ على ترك محله لغرض إطعام نفسه أو الانصراف لتمشية بعض أعماله دون أن يخبّىء جلوده ويخفيها..

ولقد حدث لمرات عديدة أن نسي القطع الجلدية دون إخفائها في خزانته حتى إذا عاد وجد القرد قد عبث بها تقطيعاً وتمزيقاً...

تنامى الغضب في قلبه وعظم.. وجد أنّه عاجزٌ عن إيذاء هذا المخلوق العابث خشية صاحبه. لكنه استمر محتدماً بالغيظ، مصمماً على إيجاد وسيلة كفيلة بالانتقام لنفسهِ.

كان القرد يُقلّد كل ما يؤديه الإسكافي.. إذا شحذ الإسكافي السكين شحذ القرد السكين بعده. وإذا أسند

الحـذاء بـين ركبتيـه جـاء القـرد بعـده، آخـذاً الحـذاء بـين ركبتيـه.. هـذا مـا شـاهده بلونـدو ؛ وهـذا مـا دفعـه إلى دراسـة الموضوع وتحقيق فعل الانتقام.

أخيراً وضع المخطط؛ وقرر التنفيذ!

أمسك بالسكين فشحذها حتى غدا نصلها حادّاً كشفرة الحلاقة.. وما أن أبصر القرد يتطلّع إليه من شرفة بيت صاحبه حتى أمسك السـكين وراح يمررهـا قريبـاً مـن حنجرتـهِ شمـالاً ويميناً ليجلب انتباهه... مارس ذلك لوقتٍ كافٍ. وإذْ تأكدَ أنّ القردَ لاحظ الحركة بإمعان غادر مأواه لتناول غدائه.

وكالعـادةِ هـبط القـرد مسـرعاً ؛ منـدفعاً برغبـةٍ وشـوق لممارسة اللعبة الجديدة التي أتقن النظـر إليهـا ليـتقن إداءهـا... أمسك السكين.. وضعها بموازاة حنجرته ممـرراً إيّاهـا شمـالاً ويميناً ؛ تماماً كمـا فعل بلونـدو..... ثم أنّـه راح يقربهـا أكثـر فأكثر إلى حنجرتـه ؛ بـذات السـرعة الـتي شـاهد الإسـكافي يؤدّيهـا... ولم يَفَـه إلاّ علـى السـكّين تقطـع حنجرتـه فتتّقهقـر أنفاسه؛ ويسقط مضرَّجاً بالدماء.

تُرجم النص من كتاب

STORIES FROM MANY LANDS

إصدار مؤسسة LONGMAN الطبعة الأولى ١٩٨٤.

تحت برج الجوزاء
Under Gemini

فاروق دوندي*

في تاريخ الهند القديمة، أيام الاسكندر الكبير كان ثمّةَ ملكٌ حكيم وشجاع يدعى "بوروس". وكان له ولدان توأمان ولِدا تحت برج الجوزاء سمّاهما "جاف" و"طالقاند". كانا متشابهين تماماً. بيدَ أنَّكَ لا تستطيع رؤية أخوين متباينين مثلهما في الوقت نفسه. تربّيا لأنْ يكونا أخوين باهرين في كل شيء. ففي الوقت الذي كان جاف كثير التأمل والتساؤل لماذا

---

* ولدَ في بونا جنوب مدينة " بومبي " الهندية. قدمَ إلى انكلترا عام ١٩٦٢ لدراسة اللغة الانكليزية في جامعة كمبردج. بعدها أصبح ولعدة سنوات استاذاً في الجامعة نفسها قبل أن يتخلّى عن التدريس نهائياً ويركّز اهتمامه لشؤون الكتابة والصحافة.

له ثلاث روايات:

١- نهاية الشرق عند قدميك.

٢- اعلَ إلى مكّة.

٣- صحبة بونا.

وقصته "تحت برج الجوزاء" مأخوذة من مجموعته القصصية" هفوة فخ"Trip Trap الصادرة عام ١٩٨٢

تبدو السماء زرقاء كان طالقاند شاباً لا يساوره التفكير في أمور الكون، بل منشغلاً كان في الصيد والرماية والقتال والرياضة. وبينما كان جاف يمكث في القصر يقرأ المخطوطات ويعزف على الآلات الموسيقية ويكتب الابتهالات والأدعية بحق الآلهة كان طالقاند منطلقاً مع الصقور والبيزان، صارفاً يومه في رحلات الصيد في براري المملكة سابحاً في جداول الجبال، متجرئاً على تسلّق القمم المعتمرة الثلج، ممتطياً صهوة جواده لعشرات الأميال يوميّاً سعياً لأن يصبح أحسن مَن يجيد استعمال السلاح في مملكة "بوروس" عموماً، وأفضل مصوِّب سهام في جيشه، وأكفأ مروّض فيلة، وملاكم، ومصارع بإمكانه تحدّي أقدر وأشجع بطل على الأرض.

ومن يوم مجيئهما إلى الحياة عهد بهما الملك بوروس إلى شيخٍ عجوز يعمل خادماً في القصر، ويوليه الثقة الكبيرة اسمه "ساسا". فصار "ساسا" هذا معلّماً للصغيرين.

حين شرع يعلمهما السباحة في النهر أظهر طالقاند اهتماماً وولعاً شديدين منذ الوهلة الأولى؛ وراح يشق طريقهُ نحو ضفة النهر البعيدة بينما وقف جاف وسط الماء متساءلاً لماذا يجري التيار إلى هذه الجهة وليس إلى أخرى؟ وما الذي يجعل الماء يرغو ويزبد؟... وعندما جهِدَ ساسا في تدريبهما على رمي

السهام تمكّن طالقاند من أن يلوي ويشد أقوى وتر ويطلق السهم نحو أهدافٍ محددَّة في الأفق بينما سحبَ جاف وتر القوس وراح يسترق السمع إلى اهتزازاته واضعاً إياه قرب جذع شجرة مجوّف، متساءلاً عن كيفية توالد الأصوات... ويوم أخذهما ساسا على ظهور الخيل لتعليمهما الطعن بالرماح نخس طالقاند حصانه وانطلق في محاولة قتل الخنازير الوحشية بينما أشاح جاف بوجهه عن منظر الدم.

استطاع طاقاند جلبَ أنياب الخنازير المتوحشة التي تمكّن من قتلها وقدّمها لأبيه.

- " وما الذي أتيتَ به، يا جاف؟"... سأله الملك بوروس.

عرضَ جاف صورةً رسمها لأخيه التوأم ممتطياً جواده، طاعناً خنزيراً وحشياً برمحٍ نافذٍ مُظهراً عيني الخنزير متخاذلتين لحظة تفجّر الدماء من جنبه الطعين كأنّه يلتمس الرحمة. كانت الصورة تُظهر الحصان من جنبه والفارس من الخلف.

- "لماذا لم تجسِّد ملامح الفخر والكبرياء المرتسمة على وجه أخيك لحظة الانقضاض؟"... سأله الملك.

- "لم أقوَ على رسم وجهي يومض بالكبرياء في مشهدِ قتلٍ"... أجاب جاف، إذ كانا متشابهين جداً في الملامح والتجسيم الجسدي.

حين بلغا الثامنة عشرة تواردت الأنباء عن غزو الاسكندر الأغريقي للأقاليم القريبة؛ وأنَّ الإغريق - وهذا ما جلبه ناقلو الأخبار إلى بلاط الملك بوروس - يعسكرون على بعد مائتي ميل من المدينة.

- "ما الذي يريده هذا الاسكندر؟"... تساءل الملك بوروس: " ألا يعرف أننا الأقوى والأشد بأساً في هذا العالم. "

- " لقد تغلَّبَ على مملكة نيكايا، ويسعى لأن يكون سيداً على عموم الهند. لقد وعدَ بذلك جنده المتعطّشين للذهب الخزين في أرضنا كما يعتقدون. " أجابه حاملو الأخبار.

- " سوف نتحدث إليهم ونتحاور في أمور السلام في الوقت الذي نستعدُّ للحرب. "... قال الملك طالباً إحضار ولديه؛ في وقت انتاب المجتمعين في البلاط قدرٌ كبير من الخوف والقلق. كانت الروايات تصل إلى الهند عن جيوش الاسكندر الزاحفة دون توقفٍ ولا هوادة من مقدونيا عبر بلاد فارس وأفغانستان؛ والآن يطرقونَ الأبواب. إلا أنهم توقفوا في الممرات الجبلية بعد أن توعدَّوا بصب الحمم على مملكة بوروس.

- "سنرسل لهم سفيراً. " أخبر الملك رجال البلاط بحضور ولديه "جاف" و"طالقاند"." سوف نتصدّى للإغريق قبل أن يطئوا ممر خيبر، ويجب جعلعهم يدركون أنَّ لديناً أرضاً كافية لتكون قبوراً لجميع الإغريق وحشودهم المتقدِّمة.".

تكلّمَ بعده طالقاند قائلاً: " دعني أذهب وأهددُّهم بنفسي، يا أبي."

- "لديك عملٌ آخر عليكَ القيام به، يا طالقاند. "... أجابه الملك وأكمل: "لقد أصبحتُ عجوزاً، أمّا أنتَ فراشد الآن وأحسن جندي في جيشي. أريدكَ أن تعد العدّة للحرب. ستكون قائداً للجيش والمشاة وراكبي الفيلة ورماة السهام. كما أنَّ عليكَ الشروع ومنذ اللحظة بإعطاء التعليمات لصانعي الأسلحة والدروع، وتعيين ضبّاطاً أكفاء، وتحديد أماكن معاركك مع الإغريق."

قليلاً والتفت الملك إلى ولده "جاف ": أمّا أنتَ فستذهب إلى الاسكندر مع بعض الحرّاس المسلحين. أنتَ رجلٌ صاحب كلمة. ستخبره بأننا الهنود لسنا لعبة سهلة، وأنَّ الملك بوروس سيمنح العفوَ للصبي الاسكندر، غافراً له أخطاءه ومحاولات عبثه بشؤون السلام والمملكة والإشاعات التي يطلقها. واخبره أيضاً أنَّ بمقدوره العودة من حيث أتى قاطعينَ له عهدَ أنْ لا نتعقّبه لأننا كرماء.".

- "لقد سمعتُ عن الاسكندر."... تكلّم جاف في الوقت الذي كان رجال البلاط يصغون صامتين: " إنّهُ ليس من الرجال الوضيعين. فقد استطاع التغلّب على نصف العالم المعروف ؛ وعلينا التحدّث عن السلام إذا كنّا نُ..... ".

- " السلام؟! "... هتفَ الملك محتجّاً: " أي سلامٍ، يا جاف. نحنُ نمتلك أقوى جيش تعرفه الهند والعالم بأكمله، وستُعطى القيادة إلى أخيك طالقاند. فكيف تريدنا التحدث عن السلام؟! ".

لم ينطق جاف بحرف؛ عندها أمره الملك بالانطلاق بغضون ساعتين صحبة خمسين جندياً لمقابلة الاسكندر وتسليمه رسالة التهديد.

حين غادر جاف التفتَ الملك إل طالقاند

- " لقد سمعت أنَّ هذا الإغريقي ابن زنا ومخادع، وربّما لا يعود أخيك حيّاً أو ربّما سيحتفظ به كرهينة."

- "كان عليَّ أن أذهب بنفسي."... تفوّه طالقاند.

- " هذه ليست رغبتي. عليكَ أن تبرهن بأنَّ هؤلاء الإغريق غير المنهزمين التقوا ندّاً نظيراً لهم. وها نحنُ بعثنا لهم أميراً ملكيّاً لنثبت أننا لا نهاب شيئاً".

بدا طالقاند حائراً، قلقاً على أخيه التوأم ؛ وهو يعرف لو أنَّ جاف نقل تهديدات أبيه إلى الاسكندر سيكون في مأزق خطير.

لكنَّ الاسكندر لم يفعل بمثل ما خمّنوا وشككّوا، بل عاد جاف بعد ستة أيامٍ قضاها طالقاند يدرِّب الجيش ويعد العِدّة... عاد جاف إلى المدينة مُرهقاً، لكنّه في طمأنينة

واستقرار. اتّجه مباشرة ليطلع الملك.

- "وهكذا.. وافق الاسكندر، وسوف يعود. أليسَ كذلك؟ "... تساءل الملك.

- "كلا! "... أجاب جاف.

- هل سلّمته رسالتي؟ ".

- " كلا يا أبي، لم أفعل ذلك. لقد تجوّلتُ في معسكره؛ وقد استقبلني بأدبٍ ودماثة خلق؛ ودعاني للبقاء فترة أطول. قضيتُ بضع ساعات حول المعسكر مُحسناً ضيافتي. لقد وجدتُ جموعاً كبيرة من الرماة لديه. رماة مقدونيين بارعين، وكتائب فرسان، وراكبي خيول، و.... "

- "لا أريد معرفة دُمى الاسكندر التي يلعب بها. "... نطق الملك بوروس، وأكمل: "أخبرني، ماذا قلت؟ ".

- "إطّلعتُ على قوّة جيوشه فساورني الخوف على مملكتنا. "... أجاب جاف.: "لقد أحسن الإغريق استعداداتهم فعرضتُ عليهم توقيع معاهدة.".

- "معاهدة؟!.. وهل طلبتُ منك ذلك؟!"... بدا الملك في أقصى ثورته؛ فقاطعه طالقاند:

- "دعنا نستمع لما يقوله أخي."

استمر جاف يتكلّم: "أخبرته أن الحرب تعني سفك الدماء لكننا نستطيع حسمها بإعطاء الأرض الواقعة في الجانب

الآخر لنهر الهندوس إن قدَّمَ وعدَ شرف باحترام مملكتنا و..... "

- " خائن! "... انتفض الملك. " يا طالقاند: ضع هذا الخائن قيدَ الاعتقال.. خُذ هذا الجبان من هنا. لا أريد أن تقع عليه عيناي. ".

بعدها التفت الملك إلى ساسا:

- أهذا كل ما تربّى عليه ولدي؟.. ينقلب ضدّي وضد رغباتي عندما يهددُنا الغزاة! ".

لم يرد جاف بشيء. فقط دار بعينيه على البلاط. خطا بعدها طالقاند إلى أمام ممسكاً بكتفِ أخيه التوأم.

- " عندما أصبح قائداً للجيوش سأكون مسؤولاً عنه. "... قال ذلك ثم قاده خارجاً، يتبعهما ساسا.

- " لماذا لا تتراجع وتقدّم اعتذاراً لأبيك حتّى اذا نشبت الحرب تكون جنب أخيك؟

لم يفه جاف برد. بل اكتفى بالصمت.

- "ساسا؛ اعتنِ به. "... قالها طاقاند: " لن يغفر له أبي حتى نكسب الحرب ؛ وسأكلّمه بنفسي.. ثم أنني أفهم أخي، إنّه عنيد ولا يعرف التراجع. ".

ترك طالقاند أخاه في ملاذٍ منزوٍ في القصر لا يصل إليه سوى ساسا؛ وتوجّه لإكمال الاستعدادات اللازمة لمواجهة

الاسكندر.

تلك الليلة أرسل جاف الخادم ساسا ليدعو أخاه للحضور. ولمّا حضر طالقاند خاطبه جاف:

_ "لقد اطّلعتُ على قوى وتعداد حشود الاسكندر، وعلينا تهيئة ما يضاهيهم.".

أطلع جاف أخاه على قوة واستعداد العدو. أطلعه على سرايا فرسانه وخطوط مشاته ومجاميع الفيلة ورماة السهام، مقارناً إيّاها بخطوط فرقهم المهيأة.

- "وماذا عرفتَ عندما كنتَ في معسكرهم"؟ "... سأله طالقاند:" إنَّ الاسكندر هذا يعتبر قائدهم وبطلهم العظيم، وبدونه تنعدم لديهم القدرة على احتلال نصف العالم. فإذا استطعت اغتياله أو أسره أربح الحرب لا محالة. ".

كان فصلُ أمطارٍ كثيفة وقت وصلت إلى طالقاند أخبار مفادها أنَّ جيوش الأعداء عبرت ممرَّ خيبر وهي الآن تعسكر عند الضفة الأخرى لنهر الهندوس. إذْ تمكنوا من الزحف تحت جنح الظلام واستطاعوا أخذ موطىء قدم لهم، وتمكنت جحافل المشاة من عبور النهر ثم انقسمت إلى قسمين بحركة V للتعرف على الأرض بعد نجاحها في نصب جسور تربطهم بحشود قواتهم الأساسية.

سمعَ جاف كل هذا من الخادم ساسا..

- "وماذا فعل أخي طالقاند؟ "

- "أسرع بإرسال سريّةٍ فرسان لكسر خطوطهم من مركز تحركهم. ".

- "وهل هو في القصر الآن؟ "

- "أي قصر! أنه يقود الجيش بنفسه."

- "وأبي؟ "

- جَهِدَ طالقاند في جعله بعيداً عن ساحة المعركة بعدما قدِر على إقناعه.

- وهل يقود الاسكندر جيشَه بنفسه؟؟

- "تبدو شديد الاهتمام بهذه المعركة. لماذا لا تطلب العفو من الملك وتقنعه بالسماح لك بالقتال جنباً إلى جنب مع أخيك؟"... سأله ساسا.

- أريد أن أساعد طالقاند؛ كما تعلم لا أجيد استعمال السيف أو الطعن بالرمح. لكنَّي أستطيع مساعدته من مكاني. ".

- "من هنا؟!"

- " نعم. إنَّ ما يعانيه أخي ليس ضعف المقاتل لديه، إنّما هو بحاجة إلى خطة للقتال.".

- "ربّما؛ لكن ما لم تعتذر لأبيك فلن تحظ بإلقاء نظرة ولو خاطفة على ساحة المعركة. إنّكَ رهن الاعتقال.. تذكّر

ذلك، يا جاف.".

- ستكون أنتَ عيني وأذني.. اجلب لي الآن بعض القطع الخشبية مع سكين النحت.

ساور الخادم اعتقاد أن الأمير الجبان فقدَ عقله؛ لكنه فعلَ ما أُمر به.

في اليوم التالي جاء ساسا لينقل أخبار المعركة إلى الأمير جاف فوجده جالساً القرفصاء وقد رسم ساحة القتال على الأرض، مثبّتاً عليها بضعة هياكل خشبية منحوتة.

- "أخبار سيئة! "... قالها الخادم ساسا.

- "ماذا حدث في ساحة المعركة؟ هل استسلمت تشكيلات المشاة الإغريق؟ ".

- "لقد ارتكب طالقاند خطأً جسيماً عندما أرسل الخيالة لمهاجمة مقدمة المشاة الإغريق. لكن الاسكندر تمكن من عبور النهر عبر أكثر من موقع ؛ ولم تمر ساعة أو ساعتان حتى كنّا سنحطم مركزهم لولا إن خُرِقَت خطوط فرساننا راكبي الخيول فاستطاع مشاة العدو التمركز فيها فاضطرت خيولنا إلى التراجع.

- "التراجع؟! ألم يدعمهم بالمشاة كظهير لهم؟! "... تساءل جاف مندهِشاً. شرع يذرع الأرض جيئةً وذهابا.

- "كلا، أيها الأمير. لقد أُجبروا على التراجع بعد أن

تكبّدوا الكثير من القتلى والجرحى.".

- "ألم يدرك أخي طاقاند بأنَّ المشاة وحدهم الذين يستطيعون التمسّك بالأرض؟.. كان بإمكانه أن يكرّس الفرقة الخيالة للإغارة فقط وليس الإمساك والتشبّث بالمنطقة... وهل ما زال أخي سالماً؟".

- "عرفتُ أنّه جُرحَ جرحاً طفيفاً؛ لكنه عاد إلى المعسكر مجدداً. ".

- "وهل بمقدوركَ إحضاره إلى هنا، يا ساسا؟".

- "أظنُّهُ منشغل جداً. التشاورات مهمة مع الضباط هذه الليلة.".

- "اخبره بضرورة المجيء. اخبره أنَّ المعركة هذه يجب أن تدور تحت برج الجوزاء فنحن توأمان. نحن رجلٌ واحد. ".

حملَ ساسا الرسالة إلى طالقاند، غير أنَّ طالقاند لم يكلّف نفسه بالحضور.

مرّةً أخرى؛ وعند انقضاء اليوم الثالث أو الرابع حملَ ساسا أنباءً محزنة عن المعركة شاهدها من على الأبراج الموزَّعة على أسوار المدينة.

- "أفلح الإغريق في عبور النهر يدعمهم المشاة، واستطاعوا التمركز في مواقعهم الجديدة بعدما سلكوا طريق الخداع والمناورة.".

- وماذا بعد- ؟ "... تساءل جاف. أبصره ساسا يعود إلى الدمى يغير أماكنَ القطع الخشبية المنحوتة.

- "إنَّ مجاميع فيلة الإغريق تحركت نحو الجسور، وهي الآن خلف مشاتهم ومن المتوقَّع عبورها غداً. لذا فانَّ على سرايا فيلتنا المرور خلال مشاتنا هذه الليلة.. وما هي أخبار الاسكندر نفسه؟".

- "كان حاضراً في المعركة، واستطاع طالقاند مشاهدته على رأس كتيبة خيّالة فاندفع صوبه مع مجموعة من رماة السهام، لكنه تمكّن من الثبات بأرضٍ خلف حرسه الخاص من المشاة.".

حرَّك جاف قطعةُ المنحوتة مرّةً أخرى.

- "أنتَ تتصرَّف بمنحوتاتك كالأبله بينما مملكتنا تتعرّض للخطر! "... قال ساسا محتّجاً.

- " احضر لي طالقاند. ها أنا أرى ما يبيِّته الإغريق."... قال جاف محدِّقاً في رقعته الصغيرة التي تفترش الأرض.

- "لن يأتي، أيها الأمير."

- "حسناً إذاً.. خذ هذا التنبؤ واخبره بتوقّع حدوثه. غداً سيتحرك خيّالة الإغريق ورماة السهام عبر الأراضي المفتوحة يسارهم باتجاه المدينة. ومن خلفهم سيدعمهم المشاة، ولن يهاجم الاسكندر الخطوط التي أعددناها في الجهة اليمنى

بمواجهة جسورهم.".

عاد ساسا إلى جاف بعد انتهاء ليلة اليوم التالي.

- "لقد حدثَ ما تكهنتَ به!"... قال ساسا" أي سحرٍ لديك؟! ".

- "ليس السحر إنَّما المنطق الذي كان على طالقاند التمسك به في تقدّمه إلى الأمام. أمّا الآن فقد وقع في المصيدة.".

وبينما كان جاف يواصل حديثة إلى ساسا دخل طالقاند الغرفة فجأةً وقد ارتسمت على وجهه سيماء الإرهاق.

- "لقد تسلّمت رسالتك وتنبؤك. "... راح يحدِّق في المنحوتات الصغيرة على الأرض.

- "لا تجازف بقيادة القوّة المهاجمة غداً، يا أخي. "... تكلّم جاف.

- "أعتقد أننا سنرغم الإغريق على الفرار. لقد سحبوا هذا اليوم كتيبتين من رماة السهام في الجبهةِ اليمنى."

- "دعْ مكانك لأبينا الملك، وابقَ أنتَ غداً عند أسوار المدينة. ادفع مشاتك إلى الأمام كي تتمكّن سرايا الفيلة من التحرك خارج المدينة. "

بدا طالقاند فاقد الصبر، مشحوناً بالسخط.

- "تعال؛ اقترب. "... قاده جاف إلى حيث القطع المنحوتة التي رتّبها من قبل.: "انظر. هذا هو الاسكندر، وهذا هو

جانبنا. هنا كتائبنا من المشاة. لقد حددتُ موقعهم بدقّة كما أعلمني ساسا. "... أمسك جاف بقطعة ثم حرّكها على الرقعة المرسومة على الأرض: "عليكَ إعطاء سرايا الفيلة الفرصة لعبور ساحة المعركة بأقصى سرعة. حينذاك يكونوا قد أمسكوا بكامل المساحة التي أمامهم. سيضطر الاسكندر بسبب ذلك للتحرّك جانباً. عندها تقدِّم فرقة مشاة لإعاقة تحركهم. ".

- "لا شكَّ أنكَ مجنون. "... صرخ طالقاند :"سأتسبب بمجزرة إن أمرت بتقدّم هؤلاء الجنود! ".

- "إنّه الثمن الواجب دفعهُ. "أجابه جاف.

- "سبعمائة رجل؟.. ولماذا لا نجعلهم يتراجعون؟ ".

- "عليهم الإمساك بأبعد ما يكون من الأرض، وباستقامةٍ حتى ضفة النهر. لا وقت للقلق بشأنهم. اتركهم هناك. أمّا الخيّالة فأمرهم بالتحرك خارج المدينة لأنَّ الاغريق سيكرسون هجماتهم باتجاه المدينة في ذلك الوقت. ".

- "تسلّى بألعابكَ ودُماك، واترك الحرب لي. "... قالها طالقاند ساخراً قبل مغادرته المكان.

في اليوم التالي؛ وتحديداً وقت الظهيرة اندفع ساسا إلى الغرفةٍ حيث يُعتقَل جاف. كان وجهه يُنبئ بكامل القصّة. وفي المسافة القريبة استطاع جاف سماع قرقعة السيوف وصرخات الرجال. الذعر في الشوارع وأصوات الموت تعلو فوق الأشياء.

- "أنهم فوقنا! الإغريق! "

- " أين طالقاند؟ ".

- "لم يأخذ بنصائحك. خرج على رأس السرايا هذا الصباح، وقد حدث ما قلته بالضبط. باغتنا الاسكندر خارقاً المدينة بنفسه.. وها نحن نخسر كلَّ شيء. ".

- " لا بدَّ أنَّ الإغريق اختاروا أرض المعركة بأنفسهم. " قال جاف؛ ثم تساءل: "وماذا عن أبي؟ ".

- " قاتل مثل رجلٍ مجنون. حالما سمع بسوء الموقف لبس درعَهُ واندفع خارجاً. الاسكندر أعطى تعليمات بتطويقه وعدم المساس به. لم يكن لديه وقت للتراجع، فضباط الاسكندر دخلوا المدينة وآخرون يحاصرونها من الخارج. ".

قرفصَ جاف على الأرض. حرَّكَ بعض القطع المنحوتة. حدَّقَ فيها مصعوقاً.

وصلت أخبار مقتل طالقاند إلى الملك بوروس في القصر من فم الاسكندر.

- "افعل ما تشاء أيها الإغريقي. "... نطق الملك بوروس.

" أعترف أنكَ قاتلتَ بشجاعةٍ ووهبتَ ولدَكَ في هذه المعركة. "... قال الاسكندر المنتصر: "ما واجهتُ خصماً شجاعاً كمواجهتي لهذا الشاب ؛ ولو كنتُ أستطيع اعادة عقارب الساعة لفعلت كي ما يبقى ولدُكَ حيّاً. لقد خسرتَ

ولدك لكنكَ لم تخسر كرامتك ومملكتك. وبالرغم من أنها كلّفتني من الدماء أكثر من أيةِ حملةٍ فإنّي أعيد إليكَ مملكتك. عندما جاءني هذا الشاب أول مرّة للتفاوض معي وتحدَّث عن السلام خلته جباناً. كم كنتُ مخطئاً. في الأيام الستة الأخيرة للقتال شاهدته كالعفريت. أمّا الآن سأتركك لأحزانك أيها الملك فليسَ من السهل فقدان الولد الوحيد. ".

غمرت الدموع عيني الملك، فصرخ:" ولدي الوحيد! ". أحنى الاسكندر رأسه وخطا متراجعاً إلى الخلف، وخرج.

بعدها رفع الملك جسدَ طالقاند بذراعيه الواهنتين وحمله خلال ممرات القصر وصولاً لغرفة جاف.

- "أنتَ تبدو شبيهاً به. ذلك غريب حقّاً! "... قالها الملك بوروس مخاطباً جاف: " لقد قاتل كرجلٍ لم يقاتل مثله أحد على الإطلاق. أخطأ الإغريقي حينما تصوَّروه أنت. أعتقد أنَّ ولدي الوحيد مات هذا اليوم. لم أصحح كلامه. إنّه ولدي الوحيد حقّاً. أنتَ هنا جلستَ تتسلّى بدماك الغبية بينما ضحّى هو بحياته. ".

خطا الملك إلى الأمام رافساً القطع المنحوتة الصغيرة المثبتة على الأرض.

- " سأشيحُ بوجهي عنك. "قال مخاطباً جاف:" وعندما سيأتي الحديث عن مملكتنا في الأزمنة القادمة سوف

يتذكّرون طالقاند الفارس والرجل الشجاع الذي تشرَّفَ الاسكندر بمقاتلته. أمّا أنتَ فلم تفعل شيئاً."

تقدّم ممتلئاً غيظاً وحزناً فبصق في وجه ولده الحي؛ وأدار ظهره إلى الأبد عن الرجل الذي سوفَ يُذكر - كمخترع الشطرنج - عندما يُنسى جميعُ الأبطال المهزومين.

صدرت للمترجم:

- (الجواز) رواية للالمانية هيرتا موللر الحائزة على جائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٩، عن دار تموز، دمشق ٢٠١٢
- (طريق ضيق باتجاه الشمال العميق) مسرحية للكاتب المسرحي الانكليزي ادورد بوند؛ صدرت عن دار تراسيم، عام ٢٠٠٩

short stories from the world

أرى أنَّ الترجمةَ فعلٌ إبداعي يتطلَّب جهداً ويراعةً وخيالاً كفعلِ النحت العصي على العامة. فعلٌ يتشكل من جهد وذائقة وإصرار. والمترجم ، كما أراه شخص انيطت به مهمّةُ تحويل ما أنتجه الآخر في ضفة إنسانية ليكون مرغوباً ومحبباً لآخر في ضفة إنسانية أخرى. هذا التنوع في تبادل الأفكار والأشعار والصور السردية يتكينن فسيفساء مؤرَّجة بعطر التعرف على ما ينقله الوسيط من ضفة لضفة.

الترجمة فعل تحدٍّ أدبي وحالة إصرارٍ على مواجهة مهمّات صعبةٍ وعصية تتطلب التهيؤ باستعدادات مكينة تفكُّ شيفرات النصِّ الذي يُراد ترجمته.

زيد الشهيد

مقطع مقتبس من رواية (شارع باتا) لمترجم الكتاب